أزمة الخليج وحرب الأفغان

بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان

مجدى أحمد حسين

رقم الإيداع :
١٧٦٠٧ / ٢٠٠١

التوزيع
محمول : ٣٣٧٥٤٠٤ /٠١٢

عنوان المؤلف : ٣٦ شارع الروضة ـ المنيل ـ القاهرة
تليفون و فاكس : ٣٦٤٤٠٥٥

بريد ألكترونى : Magdyhussien@gawab.com

الغلاف بريشة : مدحت عبد السميع

الطبعة الثالثة ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

تأتى هذه الطبعة الثانية من كتاب «أزمة الخليج بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان» بعد مرور احد عشر عاما على الطبعة الأولى التى نفدت منذ سنوات.. تأتى هذه الطبعة الثانية فى ظروف مماثلة للطبعة الأولى.. حيث بدأ المعتدون الأمريكيون حربا عدوانية وحشية ضد الشعب الأفغانى فى ٧ أكتوبر ٢٠٠١.. كذلك فإن أحداث احد عشر عاما أكدت كل المخاوف التى تحدثنا عنها فى هذا الكتاب من تدخل الأجانب وعلى رأسهم الأمريكيين فى أمن الخليج. تؤكد هذه الدراسة أن ادخال الكفار والمشركين (الأمريكيين وحلفائهم) فى حل نزاع إسلامى - إسلامى.. لن يكون إلا على حساب المسلمين.. وقلنا ان القوات الأمريكية والغربية ستبقى فى الخليج بعد انسحاب العراق من الكويت.. وأن هذا الوجود العسكرى سيتحول إلى وجود دائم، وسيؤثر على استقلال دول الخليج.. وعلى مواردها المالية.. وتوقعت الفظائع التى سيقوم بها الجيش الأمريكى ضد شعب العراق (انهم سيجدونها فرصة لاعمال القتل والتدمير فى جانب من أهل دين الإسلام) ص ١٤.

وانتهيت إلى أن أمريكا إذا ضربت العراق فإنها (ستدفع ثمن ذلك غاليا.. لقد سيطرت الولايات المتحدة على العالم العربى دائما لأنها كانت من وراء ستار - إسرائيل وبعض الأنظمة العربية - أما الآن فإن أمريكا تكشف عن وجهها القبيح مباشرة.. وتعيد إلى الأذهان كل مساوىء الاستعمار التقليدى).. ص ٦٤، وقد دفعت الولايات المتحدة ثمنا غاليا ظل يتصاعد حتى بلغ ذروته فى الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

وما يهمنا الآن.. هو ما يربط بين أزمة الخليج القديمة المستمرة.. وأزمة أفغانستان الجديدة.. فقد برهنت الحرب العدوانية الأمريكية على أفغانستان.. ان الوجود

العسكرى الأمريكى ـ البريطانى فى الخليج ليس ضد العراق وإيران ولحماية النفط فحسب.. بل يمكن أن يكون نقطة وثوب لضرب وغزو مناطق أخرى فى العالم الإسلامى.. وهذا هو الثمن الثقيل لاضفاء «الشرعية» على الوجود الأمريكى فى قواعد بالخليج واستنادا لمعاهدات واتفاقيات عسكرية لا أساس شرعى لها.

أهم ما يجمع بين الأزمتين الكبيرتين (عدوان أمريكا على العراق ـ عدوان أمريكا على أفغانستان) وما بينهما وما قبلهما.. من مظاهر وهن الأمة.. هو تخلى حكام العرب والمسلمين.. عن التوجيهات القرآنية الصريحة.. فى قضية موالاة الكفار والمشركين..

وموالاة الكفار والمشركين التى حرمها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.. تساوى فى عصرنا الحديث التبعية للحلف الأمريكى الصهيونى.. فالموالاة بمعنى الصداقة والنصرة.. فانها عندما تأتى من طرف ضعيف وتابع.. فهى تبعية.. أما الحلف الصهيونى الأمريكى فهو يمثل أئمة الكفر فى هذا العصر الذى بدأ فى منتصف القرن العشرين باحتلال فلسطين..

أما موالاة المؤمنين لبعضهم البعض ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فهى الوجه الآخر لذات القضية.. وتعنى بمصطلحات العصر: الاستقلال.

موالاة الكفار والمشركين تتوافق بمصطلحات العصر مع التجزئة العربية والإسلامية..

وموالاة المؤمنين تتوافق مع وحدة الأمة الإسلامية.. وهى فريضة عقائدية.. والأساس الاستراتيجى للدفاع عن المصالح الحيوية للأمة..

وفى هذه الحرب الصليبية الجديدة ضد الإسلام والمسلمين.. التى تتخذ من أفغانستان.. محطة أولى.. تعود قضية موالاة الكفار والمشركين لتطرح نفسها بحدة.. باعتبارها حجر الزاوية.. فى تحرر العالم الإسلامى من ربقة الاستعباد الصهيونى الصليبى.

* * * * *

تستند الحرب العدوانية الأمريكية على أفغانستان.. إلى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. وبأبسط معايير العدالة فإن الولايات المتحدة لم تقدم أية براهين عن مسؤلية تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، ولا مسؤلية طالبان عن هذه الأحداث.. باعتراف حكام العرب والمسلمين.. وهناك اجتهادات ووجهات نظر متباينة حول تحليل ما حدث فى ذلك اليوم.. وهناك جهات غير إسلامية مفترضة ومحتملة وفقا لذلك.. وقد كان أمرا مخزيا أن يجتمع حكام المسلمين فى الدوحة ويؤكدون أن أمريكا لم تقدم لهم أدلة تدين بن لادن ومع ذلك فإنهم لم يستنكروا فى بيانهم ـ حتى بمجرد الكلمات ـ العدوان الأمريكى على أفغانستان المسلمة..

إن أرض المسلمين ليست مفتوحة أو مستباحة كى يعيث فيها الكافرون فسادا.. بدون معقب أو مقاومة.. وليس مسموحا شرعا لأى حاكم مسلم أن يقدم الذرائع والحجج المسوغة لهذا العدوان..

يقول الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه «العلاقات الدولية فى الإسلام» (الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٤): عندما تكون الحرب بين دولة إسلامية وأخرى غير إسلامية، فى هذه الحالة لا يكون للحياد موضع، فانه يكفى الاعتداء على مسلم لكى تتضافر القوى على دفع الاعتداء، والاعتداء على أى مسلم فى الأرض اعتداء على عامة المسلمين، لأن النبى ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله» والنبى ﷺ يقول أيضا: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وغير ذلك من الأحاديث الدالة على التعاون الإسلامى عامة من غير قيد ولا شرط، أما فى حالة أن تكون الدولة الإسلامية هى الخاطئة والمعتدية فلا يعنى ذلك تشجيع ضربها وفى هذا الاحتمال يقول الشيخ أبو زهرة: (وقد يفرض أن الدولة الإسلامية تكون معتدية، وفى هذا الحال يتقدم المسلمون لإصلاح الحال ومنع الاعتداء).

أى إذا افترضنا أن تنظيم القاعدة وحكومة طالبان اعتدت على الولايات المتحدة.. فإن واجب الدول الإسلامية ان يحلوا القضية سلما.. ويتدخلوا لمنع العدوان على الدولة الإسلامية.. واعطاء كل ذى حق حقه.. أى أننا إذا طبقنا هذه

القاعدة العـامة.. على هذه الحالة المفـترضة.. فإن الولايات المتحـدة يجب أن تقدم أدلة قاطعـة تثبت مسئولية الجناة وتحددهـم خاصة وأن الوقائع حـدثت على أرض أمريكيـة وبطائرات أمريكـية. وفى هذه الحالة يمكـن للعالم الإسلامى أن يحاسب المسئولين ويـحاكمـهم.. فى احـدى الدول الإسلامـية.. ولكـن لا داعى لمواصـلة الافتراضات.. وفقا لطريقة «الفقه التقديرى» التى اشتهر بها أهل الفقه فى العراق.. طالما أن أمريكا لم تقدم أى دليل.

إن ما فعلته أمريكـا هو نوع من الاستهانة ـ التى لم يسبق لهـا مثيل ـ لكل حكام المسلمين.. حيث تـشن على أفغانستان واحدة من أعنف عـمليات القصف دون أن تقدم رسـميا أى دليـل على صحـة اتهامها.. بـل إن الأدلة التى أعـلن عنهـا رئيس وزراء بريطانيا (تونى بلير) وقدمها لمجلس العموم البريطانى.. أطلعنا على نصها.. فهى أدلة لا تصمد أمام أى مناقشة.. وتعتمد أساسا على البيانات السياسية السابقة الصادرة عن تنظيم القاعدة..

وفقا للمعلومات والبيانات الأمريكـية المنشورة فليس من حق الولايات المتحدة أن تضـرب أفغانـستـان انتقـاما من أحـداث ١١ سبتـمبـر ٢٠٠١.. لأن المسئـولين الأمريكـيين استخدموا ـ عـلى سبيل المثـال ـ تعبير المشـتبه فيه الأول هو أسـامة بن لادن.. والمشتبه درجـة يتلوها المتهم.. ثـم يتلوها المدان.. والاشتبـاه وحده لا يكفى للقيام بهذه العملية الاجرامية الأمريكية فى أفغانستان..

وإذا افترضـنا أن القائـمين على أحـداث ١١ سبتمبـر من المسلـمين على سـبيل الجدل الـفقـهى.. فـإن الأمر لا يمكـن أن ينـاقش أو يـحاكم بـصورة مـعزولـة عن السـياسات الأمريـكية المـعادية للإسـلام والمسلمـين.. ولا يمكن أن يـناقش ويقـيم بصورة معـزولة عن الجرائم التى ارتـكبتها أمريكـا وإسرائيل فى حق المسـلمين فى فلسطين والعراق وغيرهما من بلدان المسلمين..

وعليه فإن مواصلة حـكومات عربية وإسلامية ومنظمات وهيـئات غير حكومية فى العالم الإسلامى.. الـبكاء والعويل على أحداث ١١ سبتمـبر.. والتى فاقت أى احساس بالأسـف على ضحايا المسـلمين فى فلسـطين والعراق قبل ١١ سبـتمبر..

والمجازر البشعة فى حق المدنيين الأفغان التى بلغت آلاف الشهداء وعشرات الآلاف من الجرحى.. وتشريد ملايين آخرين.. بعد ١١ سبتمبر.. نقول ان مواصلة النحيب على أحداث ١١ سبتمبر الأمريكية.. هو من أعمال المنافقين.. الذين يرغبون فى التقرب إلى الحكومة الأمريكية.. بينما هى المسئولة بجرائمها المتواصلة فى حق البشرية.. عن وقوع هذه الأحداث وما يقع فى المستقبل ضدها، وليست الجمرة الخبيثة إلا احد الأشكال الجديدة من الهجمات التى ستظل تعانى منها الولايات المتحدة إذا لم تغير سياستها الخارجية الظالمة فى حق الشعوب عموما وفى حق المسلمين على وجه الخصوص.

فى حرب الخليج الثانية كان حجم الخلط كبيرا.. بعضه كان مبررا وبعضه غير مبرر.. أما فى هذه الحرب على أفغانستان.. فإن الأمر من الناحية الإسلامية لا يحتمل موقفين.. فهناك دولة كبرى (الولايات المتحدة) تعلن أنها تشن حربا صليبية ضد الإسلام (بعد تسميته الإرهاب) وأنها لن تكتفى بضرب أفغانستان.. ولكنها ستواصل ضرب العراق وسوريا ولبنان والسودان واليمن.. وأنها حرب ستتواصل لسنوات.. وربما لعشرات السنين.. إن أمريكا قادمة لتغيير حكومة أفغانستان.. واقامة حكومة جديدة.. واعادة الملك المطرود منذ ٣٠ عاما.. نحن نعود صراحة إلى الحالة الاستعمارية التقليدية.. حيث يجرى الاحتلال العسكرى.. وتجرى الادارة المباشرة لأمور الحكم استنادا لوجود قوات أجنبية.. وقد أجمع العلماء.. بما أصبح معلوما من الدين بالضرورة.. أن دار الإسلام هى الدولة التى تحكم بسلطان المسلمين، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين، وهذه الدار يجب على المسلمين القيام بالذود عنها، والجهاد دونها فرض كفاية إذا لم يدخل العدو الديار، فإن دخل العدو الديار كان الجهاد فرض عين عليهم، فعليهم جميعا مقاومته ما أمكنتهم الفرصة واستطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ونحن أمام هجمة شرسة على دار الإسلام.. وقد نزلت قوات العدو الكافر بالفعل على مدار العالم الإسلامى (فلسطين.. الخليج العربى.. أفغانستان.. باكستان.. العراق)..

عندما كانت للأمة الإسلامية منعة وشوكة.. كان الفقهاء يقصدون بأن الجهاد فرض عين على أهل البلد التى نزل فيها العدو.. ويظل الجهاد فرض عين على البلاد المجاورة التى تليها حتى يوجد ما يكفى لصد العدوان.. أما فى حالة الهجمات الشاملة كهذه الحملات الصليبية الحالية والسابقة عبر التاريخ.. فإن إعلان نفير الجهاد يكون عاما فى صفوف المسلمين.. لأن العدو الصهيونى ـ الأمريكى ـ البريطانى أصبح موجودا فى كل بلاد المسلمين تقريبا.

وأخيرا هل هانت ثوابت الإسلام حتى نضطر إلى البرهنة على أن الولايات المتحدة عدو.. وعدو محارب للإسلام والمسلمين؟!

إذا كان هناك اجماع على أن إسرائيل عدو للإسلام والمسلمين.. وتحتل أراضى الإسلام.. وتستولى على مقدساتهم فى فلسطين.. فمن الذى مكن إسرائيل من ذلك، ومن هو حليفها الأول.. الذى يمكنها بالسلاح.. الذى وصل إلى حد أحدث الأسلحة الفتاكة.. والتعاون العسكرى المشترك فى تطوير الصواريخ البعيدة المدى.. والتوقيع على اتفاقيات تحالف استراتيجى.. ومن الذى يحمى إسرائيل سياسيا ودبلوماسيا.. فى محافل الأمم المتحدة.. وغيرها من المحافل الدولية.. ومن يجيش أوروبا والعالم الغربى.. لتقديم الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى لإسرائيل.. من ينطبق عليه فى العصر الحديث ما جاء فى القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

فمن الذى أخرجنا من ديارنا أكثر من إسرائيل.. ومن الذى ظاهرها.. أى الذى عاونها ودعمها وساندها وقواها فى هذا الاخراج إلا الولايات المتحدة وبالأخص منذ الستينيات من القرن العشرين.

إن الولايات المتحدة التى يقول حكام العرب والمسلمين انهم يتفقون معها فى محاربة الإرهاب..

إن الولايات المتحدة هذه تضع حركات المقاومة الفلسطينية واللبنانية فى عداد

الإرهابيين.. وبالتالى تضع معهم سوريا وإيران والعراق والسودان وليبيا.. ففى أى شىء يتفق حكام العرب والمسلمين مع أمريكا.. وحول أى تعريف للإرهاب.

إن الولايات المتحدة لم تكتف بمظاهرة إسرائيل علينا.. وإنما بدأت تحاربنا بشكل مباشر بحربها الوحشية على العراق.. وبالتأكيد فإن أسلوب أمريكا فى ضرب العراق لا يمت إلى الضوابط الإسلامية فى شىء.. وهذا يعود وزره على كل حاكم مسلم أعطى غطاءا شرعيا لهذا العدوان.

فقد تم تدمير سدود العراق الثمانية ودمرت ٤ محطات الضخ فيها من أصل سبعة، وتوقفت عمليات الرى، والطاقة الكهربية وتم تدمير ٣١ منشأة لمياه الشرب والمجارى، وانهارت شبكات المجارى فى المدن، وانقطعت الكهرباء تماما.. وتم تدمير ٣٣ محطة بث اذاعى وتليفزيونى.. وتم تعطيل شبكة الهواتف (تم تدمير ٤٠٠ ألف خط هاتفى من أصل ٩٠٠ ألف، كذلك تم تدمير ١٣٩ جسرا وتم قصف كل الطرق الرئيسية، وتم تدمير عشرات من مخازن السلع الغذائية والتموينية.. وتم تدمير عشرات المصانع ونفق ٣,٥ مليون رأس غنم من أصل ١٠ ملايين بسبب عدم وجود أعلاف، وتم تدمير ٩٠٪ من قدرة البلاد على انتاج الدواجن. وتم قصف جميع صوامع الحبوب. وجرى قصف الأراضى الزراعية بقنابل حارقة. وتم قصف ٢٨ مستشفى مدنيا و ٥٢ مركزا صحيا، وأصاب القصف ٦٧٦ مدرسة، ٥٦ مسجدا وثلاثة كنائس. وتم قصف كل المبانى الحكومية وعلى رأسها وزارة الدفاع!! وأصيبت جميع مصانع الأسمنت، وتم قصف ١١ مصفاة بترول و٥ منشآت بترولية، والكثير من الناقلات والمستودعات والتجهيزات النفطية.. وكذلك كل المطارات ومحطات السكك الحديدية ومراكز النقل ومحطات الباصات ومواقف السيارات.. وتمت تسوية أحياء سكنية مدنية بكاملها بالأرض.

(جرائم الحرب الأمريكية فى الخليج - رمزى كلارك وزير العدل الأمريكى السابق).. وبعد ذلك أدى الحصار الجائر إلى وفاة مليون ونصف المليون عراقى.. مما يرفع ضحايا العراقيين فى الحرب والحصار إلى حوالى ٢ مليون عراقى.

وبعد خروج العراق من الكويت تواصل الحصار على العراق بلا هوادة.. من جراء سيطرة الولايات المتحدة على مجلس الأمن.. وقدرتها على استخدام الفيتو ضد أى قرار لرفع العقوبات.. ثم امتداد الحصار الأمريكى من خلال مجلس الأمن إلى ليبيا والسودان وأفغانستان خلال التسعينيات.. وهو الأمر الذى أدى إلى عذابات متفاوتة لحياة الشعوب فى هذه البلدان.. ومن قبل مارست أمريكا جهودا خارج مجلس الأمن لمحاصرة إيران.. ووصل الأمر إلى حد مشاركة القوات الأمريكية فى ضرب حقول النفط الإيرانية واسقاط طائرة ركاب إيرانية مدنية بصاروخ أرض ـ جو بصورة متعمدة. وحاولت أمريكا احتلال الصومال وقتلت مئات الصوماليين إلا أنها لم تتحمل الخسائر التى بدأت توقع بها (١٨ عسكريا أمريكيا قتلوا).. ثم عادت وضربت السودان وأفغانستان بالصواريخ.. لاتهامهما بعملية تفجير سفارتى أمريكا فى كينيا وتنزانيا.. وهى اتهامات بلا دليل كالمعتاد، بل وثبت بشكل جازم أن أمريكا دمرت مصنعا للدواء (الشفاء) وليس للأسلحة الكيماوية فى الخرطوم كما أدعت.. وكانت القوات الأمريكية قد ردت على أعقابها فى الثمانينيات عندما حاولت احتلال لبنان من جراء الأعمال الفدائية للمقاومة اللبنانية.. كما قامت أمريكا بقصف ليبيا مرتين بالطائرات الحربية، وفى أعقاب حرب الخليج الثانية استقرت أمريكا فى كل دول الخليج وحولت القواعد العسكرية فيها إلى قواعد دائمة مشمولة بمعاهدات اذعان طويلة المدى. ولا تفكر أمريكا فى الانسحاب من جوار هذا الخزان البترولى.. فى ظل عدم ثقتها فى إيران أو العراق.. كذلك لعبت دورا مخربا فى الجزائر.. من خلال دعم الانقلاب على الديمقراطية.. وتدعيم مصالحها البترولية بالبلاد.. حتى على حساب دماء الجزائريين.. وقد كان العنف فى البداية نتيجة الانقلاب على الديمقراطية.. ولكنه تحول إلى أعمال مشبوهة يغذيها الصراع الفرنسى ـ الأمريكى على من تكون له اليد الطولى فى الجزائر!

وهى لا تتحدث عن انتهاكات حقوق الإنسان فى تونس أو موريتانيا.. ولكنها مشغولة بانتهاكات حقوق الإنسان فى السودان وإيران والعراق.. أما فى السودان

فقد أدى الدعم الإسرائيلى ـ الأمريكى العلنى لحركة التمرد فى الجنوب إلى استمرار استنزاف السودان.. ومقتل ما لا يقل عن ٢ مليون سودانى (حسب احصاءات أمريكا نفسها).. وكانت أمريكا قد قادت تحالف ثلاثى: أوغندى ـ اريترى ـ اثيوبى.. لمحاربة السودان.. ولكن السودان صمد للعدوان بخسائر بشرية كبيرة.. كما وقعت خلافات دموية بين ارتريا واثيوبيا انتهت إلى حرب شاملة بينهما وأدت إلى فرط عقد هذا التحالف المشبوه.

وفى العراق اخترعت أمريكا منطقتين لحظر الطيران العراقى فوق سماء العراق فى الشمال والجنوب.. وتقوم بطلعات جوية يومية لمراقبة هذا الحظر وقصف أهداف عراقية مدنية وعسكرية.. وكل هذا النشاط خارج أى قرارات للأمم المتحدة.. وتمارس أمريكا ضغوطها لمنع انتظام الطيران المدنى التجارى بين العراق والعالم رغم عدم وجود قرارات دولية بهذا المعنى.

وفى اطار هجومها على العالم العربى والإسلامى.. دعمت التحالف العسكرى مع تركيا وإسرائيل.. وحاولت توريط مصر والاردن فى هذا التحالف.. أما فى شمال العراق.. فتدعم أمريكا انفصال الشمال الكردى.. لمنع وحدة الأراضى العراقية.. ومنذ سنوات يقوم التحالف الإسرائيلى ـ الأمريكى باختراق واسع النطاق لدول وسط آسيا الإسلامية.. حتى لا تنتقل من الشيوعية إلى الإسلام.. بل إلى التبعية لهذا الحلف الشيطانى.. ثم ها هى تقوم بعدوانها الوحشى على أفغانستان.

إن جرائم أمريكا فى حق الإسلام والمسلمين تحتاج إلى دراسة منفصلة.. فهذه ليست سوى العناوين.. ولا أدرى ما الذى يمكن أن تفعله أمريكا أكثر من ذلك حتى يقر الجميع بأنها عدو محارب؟! والحقيقة أن الأمر أكثر من واضح ولا يحتاج إلى محلل سياسى بارع.. ولا لفقيه مجدد ومجتهد.. إن الأمر يحتاج إلى الشجاعة والإيمان والكرامة.. والالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى فى الجهاد.. إذا كنا نريد أن نبقى على ملة الإسلام.

إن مشكلتنا فى حكامنا الذين ولدوا وعاشوا وترعرعوا فى كنف التبعية

للولايات المتحدة.. وبالتالى فهم يتصورونهـا بأكبر من حجمها ويخشون بطشها.. وهى تعرف الكثير عن أسرار حياتهم السريـة والشخصية تبتزهم بها.. وهى بسبب اختـراقها للـمجتمـعات العـربية والإسلامـية التـابعة لهـا قادرة على ايـذاء هؤلاء الحكام.. وايذاء نظم حكمهم.. هذه الأنظمة التابعة هى القوة الاستراتيجية الحقيقية لأمريكا فى بـلاد العرب والمسلمين.. لذلـك فعندما يصرح أحد المسؤلين فى دولة عربية أن الجهاد لا يعلنه إلا ولى الأمر.. فإن الرد عـليه بسيط للغاية.. نعم كلامك صحيح.. ولكن ماذا يـفعل المسلمون إذا تأخر إعلان الجهاد ٥٠ سـنة فى هذا البلد من قبل الحكام الأماجد؟!

وعندما يصرح أحد وعـاظ السلاطين أن أمريكا بلد معاهد.. فـهذا تزوير للدين يأباه الله ورسوله والمؤمنـون.. ففى ظل واقع التجزئة العربية والإسـلامية فإن توقيع حاكم أى دولة أو دويلة لأى اتـفاق مع أمريكا.. لا يعنى أن أمريـكا أصبحت دولة معاهدة.. بل يعنـى أن هذا الاتفاق باطل من الناحية الشرعيـة ولا يقبله الإسلام فى ظل السياسات الأمـريكية المعادية التى أشرنـا إليها.. ويحدد السيد سابـق فى كتابه (فقه السنة) شروط العهود وهى كلها لا تنطبق على الولايات المتحدة، ولا على أى اتفاقات تـزعم حكومات منـفصلة فى بلاد الـعرب والمسلمين انـها أبرمتها مـعها.. وهذه الشروط هى:

(١) ألا تخالف حكما مـن أحكام الشريعة المتفق عليـها. يقول رسول الله ﷺ «كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط».

(٢) أن تكون عـن رضا واختيـار فإن الاكراه يسلـب الارادة، ولا احترام لعـقد لم تتوفر فيه حريتها.

(٣) أن تكون بينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض حتى لا تؤل تأويلا يكون مثارا للاختلاف عند التطبيق.

والحقيقة أن الشرط الأول كاف.. لأن اتفاقية لاقامة قاعدة عسكرية أمريكية على أرض الإسلام خرق لنصوص صـريحة فى القرآن الكريم.. كذلك لا قـيمة شرعية لأى اتفاق لدولة عربيـة أو إسلامية مع أمريكا على حساب دولـة عربية أو إسلامية

أخرى.. باختصار أى اتفاق يتضمن معنى موالاة الكفار دون المؤمنين.. فهى اتفاقات ساقطة شرعا.

ومن الأصل لا يمكن عقد معاهدة أو اتفاق مع طرف محارب للإسلام والمسلمين.. ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٤].

كذلك فإن الشرط الثانى غير متحقق لأن العلاقات بين حكام العرب والمسلمين وأمريكا قائمة على عدم الندية، وأساسها الخضوع والتبعية.. ولذلك لا يتحقق الشرط الثالث أيضا لأن أمريكا تتعمد أن تكون اتفاقاتها غامضة لتفسرها كما يحلو لها باعتبارها الطرف الأقوى.

إن الذى يراجع تراثنا الفقهى سيجد أن ما يسمى دار العهد.. وهى الدار الوسط بين دار الإسلام ودار الحرب تكون مع قوم غير محاربين أو توقفوا عن الحرب لأى سبب أو هزموا فيها.. وهى دائما مشروطة بالعزة.. فليس المقصود.. بالعلاقة بين دار العهد ودار الإسلام أن تقوم على أساس الذلة والضعف والمسكنة للمسلمين.. وكما يقول الشيخ محمد أبو زهرة «إن المسلمين لا يستسلمون ولا يخضعون للهزيمة، لأن الإسلام دين العزة والكرامة فلا يفترض فى المؤمن الاستسلام للظلم وقبول المهانة».

والموادعة والهدنة والمسالمة ـ فى المفهوم الإسلامى ـ لا تكون بناء على طلب المسلمين.. إنما المسلمون هم الذين يستجيبون لدعوة السلم من الأعداء فالإسلام أمر إلى الاستجابة إلى السلم إذا دعى المسلمون إليها فقرر القرآن الكريم أن الأعداء إذا مالوا إلى السلم وجب أن يتجه إليه وأوجب مع ذلك الحذر منهم والاحتياط ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦١ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦١ ـ ٦٢].

فالمسلم الذى يحارب دفاعا عن دينه ووطنه.. لا يعرف ولا يعترف بالهزيمة أو الاستسلام.. بل يظل يقاتل حتى النصر أو استسلام العدو وطلبه للموادعة..

وقد نهى الإسلام عن الوهن والدعوة إلى السلم طالما لم تصل الأمة إلى غايتها ولم تحقق هدفها واعتبر السلم فى هذه الحالة لا معنى له إلا الجبن والرضا بالدون من العيش. ﴿فَلا تَهِنوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

إن السلم فى الإسلام لا يكون إلا عن قوة واقتدار ولذلك لم يجعله الله مطلقا بل قيده بشرط أن يكف العدو عن العدوان وبشرط ألا يبقى ظلم فى الأرض، وألا يفتن أحد فى دينه. فإذا وجد أحد هذه الأسباب فقد أذن الله بالقتال.. هذا القتال هو القتال الذى تسترخص فيه الأنفس ويضحى فيه بالمهج والأرواح.

ويقوم منطق حكومات العرب والمسلمين التابعين لأمريكا على أساس أننا لسنا بقوة أمريكا.. ولا نستطيع أن نواجهها.. وإننا نسميها دولة «معاهدة» على سبيل قلة الحيلة.

إن التجارب الحية ترد على هذه الأقاويل المضللة.. فكيف انتصر حزب الله على إسرائيل؟ ولماذا لا تزال إسرائيل تهاب حزب الله وكأنه قوة عظمى حتى الآن؟ ولماذا يطلب الآن بوتين رئيس روسيا التفاوض مع رئيس حكومة الشيشان للوصول إلى حل وسط.. رغم أن الجيش الروسى يحتل العاصمة جروزنى.. ورغم أن ثلث الجيش الروسى موجود فى الشيشان (١٠٠ ألف من ٣٠٠ ألف جندى روسى) ورغم أن تقديرات الروس أن عدد المقاتلين الشيشان المحترفين ١٠ آلاف مقاتل!! وكيف تصمد طالبان حتى الآن تحت القصف الوحشى وفى ظل حصار كامل يشارك فيه معظم حكام المسلمين وتعلن مواصلة الجهاد من الجبال.

وهذه المزاعم عن ضعفنا إزاء العدو الأمريكى .. تتعارض مع المفهوم العقائدى الإسلامى.. الذى دعانا أولا: إلى الأخذ بأسباب القوة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والحكام إما أنهم لم يقوموا بهذا الواجب فيتعين عليهم الاستقالة .. أو قاموا به بدرجة أو أخرى ولكنهم يخشون عواقب المواجهة .. فهم إذا لا يصلحون حكاما.

ثانيا: الإسلام يعتمد على الروح المعنوية أكثر مما يعتمد على القوة المادية..

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ [النساء: ٧٤ ـ ٧٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٥ ـ ٤٦] .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ثالثا: الله مع المجاهدين لا يتخلى عنهم أبدا ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال:١٢].

رابعا: وعد الله الأكيد بالنصر ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

إن نصوص القرآن قاطعة.. والسنة النبوية المشرفة واضحة فى مفهوم الجهاد وفى معانى الموالاة للكفار والمشركين.. ولن ينفع أى حاكم فى أى بلد عربى أو إسلامى أن يستصدر فتوى من هنا أو هناك.. خاصة وأن الحملة الصليبية التى تشنها أمريكا على أفغانستان لن تنتهى سريعا.. ولن تتوقف عند أفغانستان..

والموقف الممالىء للأمريكان بل وحتى الموقف الحيادى الوسطى لا مكان لهما.. والمسلمين لن يظلوا صامتين أبد الدهر على حكام اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

فى أثناء حرب أكتوبر كتب شيخ الأزهر الجليل د. عبد الحليم محمود يقول:

(من المعروف أن الجهاد فريضة كفاية فى الأصل العام إذا لم يكن العدو فى داخل بلاد الإسلام أما إذا كان العدو فى داخل بلاد الإسلام فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة أينما كان. فإذا كان العدو مثلا بسيناء وبالجولان وبفلسطين كما هو الآن فإن الجهاد واجب على مسلمى العالم، إنه واجب على كل مسلم على ظهر المعمورة من اعلاء كلمة الله وتحرير وطن المسلمين.. وعلى جميع الدول الإسلامية الأن ان تعبىء قواها لتؤدى فريضة الجهاد فى هذه البقعة التى اغتصبت من أرض الإسلام والعروبة وإلا أثم كل فرد وأثمت كل دولة) (الجهاد فى الإسلام - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٩٧٣).

نحن نتمسك بكل كلمة قالها الشيخ الجليل فى فتواه.. لأن فلسطين ما تزال محتلة، وكذلك الجولان.. ومزارع شبعا.. والخليج والأراضى المقدسة.. وباكستان.. وأفغانستان.. والعراق تحت الحصار العدوانى الجائر.

إن هجوم الأعداء يتركز الآن فى فلسطين وأفغانستان والعراق.. ولابد أن تكون التعبئة ونفير الجهاد لنصرة هذه البلدان فى المحل الأول.. حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا..

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

تقــــــــديم

وسط طوفان من الاعلام المضلل . . غرق شعبنا خلال الشهور القليلة الماضية . . فيما عرف بأزمة الخليج .

واستخدمت فى هذه الحملات الاعلامية كل وسائل غسيل المخ : أكاذيب . . شتائم ضد العرب والعروبة . . تمجيد فى الغزوة الصليبية الجديدة . . وتمجيد فى الغزاة الأمريكيين . . لم يحظ به أى غاز فى التاريخ . .

إلا أن أخطر أسلحة هذه الحملات . . كان التستر بالدين . . ومحاولة استصدار فتاوى من بعض رجال الدين لتبرير الغزو الأمريكى . . والاستعانة بالمشركين .

وجرى اجتراء لامثيل له على نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة . . فكان لابد أن يصدر هذا الكتيب . . بمثابة كلمة حق . . نحاول أن ننير بها الطريق فى الظلام الدامس . . وانتصاراً لأحكام ديننا الحنيف . . ومصير أمتنا العربية الإسلامية . . الذى سلمه بعض حكام العرب إلى أيدى بوش وحلفائه الصليبيين . . الذين لايريدون إلا الشر لهذه الأمة . .

هذه الرسالة التى نستهدف بها وجه الله تعالى ليست إلا رجوعاً للأصول . . (القرآن والسنة) ومن خلال أمهات الكتب فى التفسير والسنة لنعيد الحقائق إلى نصابها . . ولنطبق هذه الأحكام على وقائع أزمة الخليج كما جرت وتجرى أحداثها أمام أعيننا . .

لقد حاول المضللون أن يحصروا القضية فى نزاع كويتى ـ عراقى . . مع أن قدوم نصف مليون جندى أمريكى إلى أرض الجزيرة العربية . . جعل الصراع فى جوهره الآن صراعاً بين الأمة العربية ـ الإسلامية وبين أكبر حملة

صليبية فى التاريخ . . تجرأت لأول مرة على احتلال أرض نجد والحجاز بعد ان تجرأت واحتلت القدس وأسرت المسجد الأقصى عام ١٩٦٧ .

أما تقييم النظام العراقى على حدة . . أو تقييم النظام الكويتى على حدة . . أوفض المنازعات بين المسلمين . . بل وتقييم كل أنظمتهم الحاكمة . . فهى أمور تخص المسلمين . . والمسلمين وحدهم . . هم الذين يفضون المنازعات . . ويقومون الأنظمة السياسية والاقتصادية . وليس العدو الأمريكى . .

إن موقفنا باختصار . . هو الجهاد من أجل حصر النزاع العراقى - الكويتى فى الإطار العربى - الإسلامى . . والمطالبة بالإنسحاب غير المشروط للقوات الأمريكية والاطلسية من منطقة الخليج وأرض جزيرة العرب .

وإنه بلاشك هدف كبير . . ولكنه ليس كبيراً على الله . . وليس مستحيلاً علينا إذا نحن استمسكنا بالعروة الوثقى . وصدق الله العظيم إذ يقول :-

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » . .

١٩٩٠/١١/٢٧ م

[المؤلـــــف]

اقتتـــــال المؤمنين

(صنفـان من أمتى إذا صلحا صلح الناس : الأمراء والعلماء) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

تذكرت هذا الحديث الشريف وأنا أطالع فتاوى وآراء باسم الدين تتوالى فى وسائل اعلامنا . . تحرف الكلم عن مواضعه . . وتفسر القرآن بما يرضى أهواء السلطان . . وتقرأ لنا سيرة جديدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . تقـول لنا ان الإسلام انتشر بمساندة المشركين والكفار . . ولا ندرى فيم كانت إذن دعوة الإسلام الدين الخاتم !!

ان بلادنا لم تعدم فتاوى ـ وهى فى زمن الانحدار والتبعية ـ تؤيد كامب ديفيد ، وموالاة الصهيونية ، فهل نعدم الآن فتاوى تفرش الورود للعدوان الأمـريكى على أمتنا العربية . . وهى صادرة عن نفس الأشخاص الذين أصدروا الفتاوى والآراء الدينية ضد الثورة الإسلامية فى إيران وعلى مدار ثمانى سنوات . . وهم نفس الأشخاص الذين أحلوا الربا . . وتحديد النسل وغـير ذلـك الكثير . ولكن للدين الاسلامى رباً يحميه . . وتراثنا الفقهى العملاق . . من تفسير للقرآن والسنة . . جبل أشم تتقصف عليه فتاوى السلطة والسلطان . . والله المستعان .

ولأن المغـالـطات شملت مسـاحـات واسعـة من ثوابت وأصـول ديننا الحنيف . . فسنبدأ فى تتبعها حول محورين أساسيين :ـ

(١) كيفية فض المنازعات بين المسلمين .
(٢) شرعية الاستعانة بالمشركين ضد المسلمين .

ونبدأ أولاً بالقضية الأولى . . أى فض المنازعات بين المسلمين والتى تدور حصراً حول آيتين من القرآن الكريم . . يقول الله عز وجل فى بدايتهما :

(وإن طائفتان منَ المؤمنينَ اقتتلُوا فأصلِحُوا بينهما) .

ونود أن نشير فى البداية إلى أن اللجوء للقرآن الكريم بصورة جزئية لتبرير موقف جزئى أمر مرفوض شرعاً فلابُدَّ من أخذ القرآن ككل وبكل أحكامه المتعلقة بالموضوع ذاته . . ولا يمكن أن ننتظر بعد أن يصدر الرئيس بوش قراراته ثم نبحث له فى القرآن الكريم عن تفسير لهذه القرارات أو مشروعية لها . . فهذا والله أمر عجيب . وإذا كنا سنحتكم للقرآن حقاً وصدقاً . . فمرحى . . مرحى . . ولكن لكى نحتكم له كله . . ونلتزم بأحكامه بأسرها . . حتى لانقع تحت طائلة الآية الكريمة .

(أفتؤمنونَ ببعض الكتابِ وتكفُرُون ببعضٍ فما جزاءُ من يفعلُ ذلكَ منكم إلا خزىٌ فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامةِ يُرَدّون إلى أشدِ العذاب ، وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون) . . صدق الله العظيم . .

ولنبدأ بالتفسير المجرد للآيات . . التى هى واضحة بصورة لامثيل لها . . والتى لم يختلف كبار المفسرين حولها . . لفرط قطعيتها ووضوحها . . ونحمد الله على ذلك . . وبعد ذلك التفسير نحاول تطبيقها بصورة أمينة صادقة على احداث أزمة الخليج التى لم يعد خافياً على أحد وقائعها الأساسية .

ولكن قبل ان نبدأ فى التفسير لابد من الإشارة إلى خلفية أساسية . . وهى استمرار غياب الدولة الإسلامية ، والسلطة الشرعية الإسلامية فى دار الإسلام ، وهى المنوطة وحدها بتطبيق شريعة الله . . وهذا تحفظ أساسىّ يتجاهله باستمرار « فقهاء » السلطان .

فالمشكلة فى حالتنا ليست ضعف الطائفة الثالثة التى يمكن أن تحكم وتحسم الخلاف بين الطائفتين المتنازعتين . . فهذا هروب من واقع المشكلة . . ان الطائفة الثالثة المفترضة ليست ولا يجب أن تكون إلا الدولة الإسلامية وامام المسلمين فأين هى الدولة الإسلامية وأين هو الامام الشرعى ؟! فالمفترض ان المسلمين ليسوا طوائف مشتّتة ولكن أمة واحدة بسلطة واحدة (إن هذه أُمتُكُم أمةً واحدةً وأنا ربُكم فاعبدون) وأمرُ الله عز وجل بإطاعة أولى الأمر معلق بوجود الأمراء والعلماء الشرعيين الملتزمين بشريعة الله . .

وهذا الواقع يضع قيوداً على تطبيق أحكام الله . . التى لايمكن أن تطبق مجزأة أو بالقطعة . . سواء فى هذا المجال (تنازع المؤمنين) أو فى غيره .

ومع ذلك ولإيماننا بإننا بين ظهرانى مجتمع إسلامى . . ولايزال الجميع ـ عند الضرورة ـ يحتجون بالقرآن الكريم فلنذهب معهم إلى نهاية الشوط . . ولكى يتأكد الجميع أنه لايمكن الالتزام الصادق بأحكام القرآن إذا أخذناها مبتسرة . . والواقع فإن أحداً من فقهاء السلطان لايستشار . . بل انهم يؤمرون بتبرير ما قد حدث بالفعل . . وما صدر من قرارات . . حتى ولو كانت هذه المرة قد صدرت فى البيت الأبيض .

الآية الكريمة تصف ٣ مراحـــــل :

(١) (وإن طآئفتان من المؤمنينَ اقتتلُوا فأصلحوا بينهما) .

(٢) (فان بغت إحداهمُا على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمرِ الله) .

(٣) (فإن فآءتْ فأصلحوا بينهما بالعدلِ وأَقْسِطُوٓا إن الله يحُبُ المُقسِطين) .

وجاءت الآية التالية من سورة الحجرات لتؤكد المعنى الأخير (المرحلة الثالثة) وتفصله (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

المرحلة الأولـــــى :

« تشير الآية أول ما تشير إلى الواجب الملقى على عاتق الجماعة فى حالة قيام نزاع بين طائفتين ، أى بين أى جماعتين مؤمنتين إذ يتعين على المسلمين ان لايقفوا موقف المتفرج بل ان الواجب يحتم ضرورة التدخل لاصلاح ذات البين وفض المنازعة المسلحة بالطرق الودية كما يقولون ، ولم يجعل القرآن فى هذه المرحلة أى شرط لفض النزاع . فكل حل يؤدى إلى المصالحة بين

الطرفين فهو مقبول لان الهدف هو السلام وما يقبله الطرفان بطيب خاطر ، وسنرى فى مرحلة تالية ان القرآن الكريم يشترط العدل لأنه سيكون هو السبيل الوحيد الذى يؤدى الى السلام .أما فى هذه المرحلة الأولى ، فكل اتفاق يرضى عنه الطرفان فهو مقبول لانه يؤدى الى السلام والقانون الدولى الحديث يسمى هذه المرحلة مرحلة المساعى الودية والوساطة فالتحكيم .

المرحلة الثانيـة : التكاتف لرد العـدوان . .

ونلاحظ هنا أن الانتقال لمرحلة تالية ينبنى على استنفاد كل أسباب المرحلة السابقة ، فهو توالى وتصاعد . . وليست طرقاً متوازية .أو بدائل . . (فإن بغت) . . ثم (فإن فاءت) . .

فقد تنجح المساعى الحميدة وتنجح الوساطة وأخيراً التحكيم فى إيقاف القتال والصلح بين المتنازعين وقد لاتنجح بطبيعة الحال نتيجة لصلف أحد الطرفين وغطرسته واستطالته بقوته ، بحيث يظل متشبثاً بموقفه ، ماضياً فى عدوانه ، وهنا يتعين على جماعة الخير ان يتدخلوا لمساعدة المظلوم ودفع عدوان الباغى وذلك حتى يثوب إلى رشده ويرجع إلى الحق . .

(فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) .

المرحلة الثالثـة : السلام القائم على العـدل . .

وتأتى المرحلة الثالثة فى خاتمة المطاف حيث تنجح (جماعة الخير) فى ردع المعتدى وإيقافه عند حده وهنا تتجلى عظمة التشريع والتى تنطق بألوهيته وإنـه لايمكن أن يكـون من صنع إنسان . فنحن هنا أمام جماعة معتدية (باغية) وقد خسرت الحرب وهزمت بفضل تدخل (جماعة الخير) أى انها قد فقدت قوتها ولم تعد تشكل خطراً ، ومع ذلك فإن القرآن يأمر هنا من جديد بالمصـالحـة وينص هذه المرة على أن تتم المصـالحة على أساس من العدل ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لاستقرار السلام ، فإن أى حل لايقوم

على العدل لايمكن أن يحقق السلام وانه يكون شأنه شأن هدنة مؤقتة ، فلايكاد المغلوب على أمره يلتقط أنفاسه ويستعيد قوته حتى ينتهز الفرصة المناسبة لكى يقاتل من جديد ليرفع عن نفسه ما يتصوره ظلماً وقع عليه وتحيُّفاً من حقوقه . ومن هنا نصّ القرآن على وجوب العدل حتى لقد عبر عنه بأكثر من لفظ . ووعد العادلين (المقسطين) بمحبته . .

« فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) . .

(تفسير القرآن الكريم من سورة الأحقاف إلى سورة المرسلات ـ للأستاذ أحمد حسين ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) . .

وبمراجعة أمهات التفسير لم نجد أى تأويلات متعارضة مع مضمون هذا التفسير ولا على تصاعده وتواليه فى مراحل ثلاث وفى مقدمتها . . تفسير ابن كثير والقرطبى . . ولا فى مختلف كتب الفقه وفى مقدمتها الأم للإمام الشافعى .

بل ان معارضينا لم يطرحوا تأويلاً آخر للآية ، ولكنهم طرحوا بالأحرى تأويلاً آخر للأحداث ، يتغافل عن وقائعه الاساسية . . ارضاء للأهواء . (ومن أظلمُ ممن افترى على الله كَذِباً أو كذَّب بالحق لما جآءه) .

فلنطرح التطبيق الأمين لهذه الآية الواضحة كفلق الصبح على احداث الخليج . .

سنجد بكل بساطة ان المرحلة الأولى لم تحدث إطلاقاً (أى محاولة الصلح) وتم تحديد الفئة الباغية من بعض أنظمة الحكم فى بلاد المسلمين . . ثم تم القفز خارج سياق الآية الكريمة تماماً واستدعاء قوات أمريكا لمقاتلة الباغى . . وهى الآن تحرّض الامريكيين على القتال . . مع ان القتال متوقف بالفعل . . بل لم يجر قتال بالمعنى المفهوم للكلمة . . إلا لبضع ساعات . . وطالما ان القتال متوقف فإن الصلح والسلم مرحلة إجبارية ويجب الحفاظ عليها حتى تستنفد . ولكن بعض الأنظمة فى بلاد المسلمين تحرض الامريكيين على القتال . . لأنها أصدرت لهم فتوى بمن هو الباغى ؟!

ولنؤجل الآن قضية استدعاء المشركين حتى نوضح كيف ان المرحلة الأولى . . وهى الصلح لم تتم . . كلنا يعلم ان ضم العراق للكويت استغرق ساعات قليلة وفى الأيام التالية القليلة لم يتحرك أحد للصلح وكما قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله (ان ايجاد جامعة إسلامية تنظم العلاقات أمر واجب لمنع الاعتداء بين المسلمين) وهذه الجامعة غير موجودة بل انظمة متفرقة أغلبها تابع اقتصاديا وعسكرياً ومالياً ومعنوياً للولايات المتحدة التى ليس لديها أى فهم أو مصلحة مع القرآن الكريم !! ولا مع سورة الحجرات بالذات !!

ثم كانت دعوة الرئيس مبارك لعقد مؤتمر القمة وكان يمكن من الناحية النظرية ـ ورغم تحفظاتنا على الأنظمة العربية ـ ان يقوم أو بالأحرى يبدأ مهمة الصلح . إلا ان المؤتمر الذى عقد بعد اسبوع من ضم الكويت وبدون أى مشاورات مسبقة ، وقع تحت السيطرة الامريكية ، فقد كانت القوات الامريكية قد بدأت بالتدفق على الخليج وأصبح الحديث عن حل إسلامى فى ظل هذا التواطؤ نوعاً من الهراء . . ومع ذلك كان يمكن للمؤتمر ان يحقق شيئاً يحرج على الأقل الغزوة الصليبية الوافدة بالحديث عن الانسحاب المتزامن . . ولكن الأغلبية الطفيفة انحازت للموقف الأمريكى ، وليس لمنطق الصلح بين الأخوة . . ولان الأخوة فى الخليج تدعموا بالوجود الامريكى فلم يعد لديهم رغبة فى الحوار . . وضاعت امكانية وشروط الاتهام بالفئة الباغية ! لان الفئة الباغية هى التى تنقض الصلح ولم يكن هناك ثمة صلح . ولا يمكن القول باخلاص العمل من أجل الصلح خلال ٢٤ ساعة هى عمر مؤتمر القمة المنكود . ومن الناحية الاسلامية ـ على عكس ما يصور البعض ـ فإن قيام العراق بضم الكويت ليس هو العنصر الكافى لاتهامه بالبغى فالإسلام لايعرف الحدود الجغرافية بين الدول والامارات كما يقول شيخنا الجليل عبد الحليم محمود رحمه الله (الجهاد فى الإسلام) ، وبالذات لو كانت من صنع المشركين سايكس بيكو ـ أو الدول الاستعمارية . . ولا يمكن تحديد الباغى على أساس القانون الدولى الغربى ، وإنما على أساس شريعة الله كتاب الله وسنته وبالتالى فإن الامارة المستقلة بصورة مطلقة عن

العالم الإسلامى ليست من الشريعة فى شىء . . كما لا يوجد مجال لتفضيل النظامين العراقى والكويتى على أساس الشريعة الاسلامية طالما ان كليهما لم يكن ملتزماً بالشريعة على الاقل حتى ٢ أغسطس الماضى . . وبالتالى فإن حل المشاكل المعلقة بين الطرفين بالعدل لابد ان تتجاوز شكليات القانون الدولى غير الاسلامى الى الحقوق والواجبات بين المسلمين لا أن تكون الآية الكريمة تحت رحمة تفسير مجلس الأمن الصليبى فى مجموع تكوينه .

وهكذا فإن قضية الصلح لم تكن سهلة . . ولا يمكن أن تختزل إلى مجرد الانسحاب العراقى غير المشروط . . فهذا قد يكون موقف الامريكيين الحريصين على بترولهم فى الكويت . . ولكنه ليس بالضرورة موقف أو مصلحة المسلمين .

وليس من مهمتى الآن البحث عن الصلح المثالى . . لان ما يتفق عليه الأطراف ويكفى المؤمنين شر القتال . هو الصلح المثالى . . وإنما أردت فقط أن أشير الى قضية تعقيد الصلح . . وتعقيد المشكلات التى أدت إلى هذه الأزمة . . حتى لو استقرت عملية الصلح المخلصة على أن العراق هو الطرف الباغى فإن ذلك كان لابد إن يمر بالمعايير والأصول الإسلامية ذات العلاقة بموضوع النزاع ومنها ان المال مال الله . . وان مال المسلمين لايمكن ان تستأثر به أقلية (كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم) بدعوى حدود جغرافية لم يقرها الإسلام بل صنعها المستعمرون لغرض بترولى واضح . .

أن تحديد الطرف المخطىء . . أو الباغى كان سيتم من خلال العديد من معايير العدل الإسلامى . . وهذا لم يحدث . . فى حين ان الآية تحدثت عن البغى . . بعد الصلح . . والصلح لم يحدث . .

وإذا أضفنا لذلك ان النوايا لم تكن مع أى صلح . . وكانت مبيتة على تأكيد الدور الأمريكى نرى أن الصلح لم يتم إذا فهمنا القرآن بشكل واع وعميق وليس من خلال شكليات أفشل مؤتمر قمة فى تاريخ جامعة الدول العربية . وقد كان يمكن لمصر بثقلها ان تلعب دور رمانة الميزان ولكنها أبت أو لم تتمكن الا من الانصياع للاتجاه الامريكى الذى ساندته الكتلة الخليجية

فى المؤتمر . . وهى الوقائع التى شرحتها جريدة الشعب فى حينه .

يقول الإمام الشافعى بضرورة الدعاء الى الصلح قبل القتال ، وهذا لم يحدث . بل ان الرئيس مبارك أعلن فى إحدى المرات ان الحل العسكرى هو الحل الوحيد ولكن أمريكا هى التى تراجعت ـ حتى حين على الأقل ـ عن استخدام الحل العسكرى المباشر .

العراق . . باغيـــــة :

ومـع ذلـك ولو سلمنا جدلاً ان العراق باغية ، فان علماءنا الأجلاء لم يوضحوا للجمهور شروط مقاتلة الباغى المؤمن . .

وأولها كما يقول الإمام الشافعى (لايجوز لأهل العدل أن يستعينوا على أهـل البغى بأحد من المشركين ذمى ولا حربى ، ولو كان حكم المسلمين الظاهر ، ولا أجعل لمن خالف دين الله عز وجل الذريعة إلى قتل أهل دين الله) .

وهو يوضح الشروط الشرعية لمقاتلة أهل البغى ، والمشتقة من اعتبارهم مؤمنين :ـ

١ ــ عدم تطبيق القصاص عليهم بمجرد تراجعهم (فإن فاءت) .
٢ ــ حفظ أموالهم ودمائهم بمجرد انتهاء القتال بالهزيمة أو التراجع إلى أمر الله .
٣ ــ بل عدم استباحة أموالهم أثناء القتال .
٤ ــ عدم مقاتلتهم وهم مدبرون أو جرحى أو أسرى !
٥ ــ الصلاة على من مات منهم خلال القتال .
٦ ــ لو وادع أهل البغى قوماً من المشركين لم يكن لأحد من المسلمين غزوهم (أى المشركين) والعكس بالعكس !
٧ ــ لو سبى المشركـون أهـل البغى يقـاتـل المسلمون المشركين حتى يستنقذوا أهل البغى !

وهذه شروط رهيبة . . وعجيبة . . ولا مثيل لها . . بين الأمم . . لأنها تحافظ على الأمة الإسلامية حتى فى اقتتالها . . وتجعل المسلمين أمة من دون الناس وتضع قواعد صارمة لصراعاتهم . . فأين هذا من زيف وسفه إعلامنا المصرى الذى يشارك فيه بعض المعممين الذين يتحدثون عن الفئة الباغية وكأنهم كفار . . ويطالبون قوات المشركين بحرق الأخضر واليابس وقتل الاطفال والشيوخ والنساء بين أهل الغى المفترضين . . ويؤيدون المقاطعة الاقتصادية . . للمؤمنين بما فيهم المصريون الذى يعيشون فى العراق . . مع ان الإسلام يؤكد على حرمة المدنيين والشيوخ والاطفال حتى فى الحرب ضد الكفار . . فما بالنا فى حرب مفترضة مع بغاة مفترضين . .

ولذلك حرص القرآن على تأكيد وحدة الأمة وتلاحمها . . فبعد هذا القتال المنضبط بكل هذه القيود يتم اعادة لحم ما تقطع من نسيج الأمة (فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ومن الإعجاز ان تتبع هذه الآيات آية أخرى ترفض الحملات الاعلامية البذيئة بين المسلمين . . وكأن سورة الحجرات تصف حالنا الآن . .

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءُ من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزواً بالألقاب بئس الاسمُ الفسوقُ بعدَ الإيمان ومن لم يَتُبْ فأولئك هم الظالمون) .

فها نحن نرى إعلامنا المهذب منذ ١٢ عاماً مع بنى إسرائيل لم يكف لحظة عن السخرية من أقوامنا المسلمين . . فى فلسطين والعراق والأردن والسودان ، وإذا كان اعلاميونا مهتمين بالفتاوى الإسلامية فليتبعوا هذه الآية لأنها تؤكد ماسبق . . ان فترة الجفاء ستنتهى بمجرد انتهاء القتال . . ولاداعى لان نفجر فى خصامنا وهى من صفات المنافق انه (اذا خاصم فجر) لأننا من المفترض ان نعود ونتلاحم مع أهل البغى المفترضين فلا يجب تعميق الهوة .

كما لايجيز الإمام الشافعى بالإضافة لكل ما سبق ان يقاتل أهل البغى بأحد من المسلمين يستحل قتلهم مدبرين وجرحى وأسرى . فما بالكم بالمشركين الذين لن يراعوا بالتأكيد كل هذه الضوابط الشرعية . . بل إنهم على العكس سيجدونها فرصة لاعمال القتل والتدمير فى جانب من أهل دين الإسلام .

وبهذا نكون قد وصلنا إلى المحور الثانى . . شرعيَّة الاستعانة بالمشركين !!

واصل البعض غيه . . وطرح مالا يمكن ان يطرح استناداً للقرآن والسنة ودافعـوا من منـطلقـات « إسـلامية » عن الاستعانة بالقوات الأجنبية من المشركـين ضد المسلمـين لضرورة ! أو عند الحاجة ! وهذا تجاوز للحد لو استخدمنا أكثر العبارات تهذيباً . . لاننا سنترك الحكم القاسى لآيات القرآن الكريم .

يقول الأستاذ / خالد محمد خالد ان الأصل فى الأشياء الاباحة . . وفاته وهو فى حالة الحماس الشديد لتاتشر الشامخة وبوش العظيم . . ان الاستعانة بالمشركين ضد المؤمنين من الأمور المحرّمة بنص القرآن الكريم ، وانها ليست من الأمور المباحة . . أو المتروكة للاجتهاد . (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) .

ونكتفى فى هذا الجزء بأحكام القرآن . . نتبعه بعد ذلك بأحكام السنة وسيرة رسول الله وهى السيرة النبوية الشريفة التى أوسعوها تشويها والله يجزيهم على ذلك الجزاء الأوفى .

وقد حصرنا من آيات القرآن الكريم ستة وأربعين آية كريمة تنهى عن تولى الكفار من دون الله ومن دون المؤمنين . . ونحن نعلم ان التكرار فى القرآن الكريم أحد الوسائل البلاغية لشرح أو تأكيد معنى من المعانى أراد الله فى دستوره الالهى أن يلفت نظرنا إليه مبثوثا فى مختلف السور بين دفتى المصحف الكريم . . وهو ليس تكراراً بالمعنى الدارج فكل آية تلقى الضوء من زاوية خاصة جديدة أو فى سياق مختلف .

ســـــورة البقرة . .

(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١٠٥) صدق الله العظيم يقول الطبرى فى تفسيره :

ما يحب الكافرون من أهل الكتاب (كثير منهم) ولا المشركين بالله ان ينزل عليكم من الخير الذى كان الله ينزله عليهم ، فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب ان لاينزل الله عليهم الفرقان . وفى هذه الآية دلالة بينة على ان الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والاستماع من قولهم وقبول شىء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم ، باطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ماهم مستبطنون .

ويقول ابن كثير فى تفسـيره :

يبين بذلك الله تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من تشبّه المؤمنين بهم ليقطع المودة بينهم وبينهم كما جاء فى الآية السابقة (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) . التى أكدت على عدم التشبه باليهود فى أسلوب حديثهم .

* * * * *

سـورة آل عمران :

(لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) (٢٨) صدق الله العظيم . .

يقول الشهيد سيد قطب فى ظلال القرآن . .

إن الذى يتخذ الكفار أولياء ـ والكفار كما يقرر السياق هم الذين لايقبلون التحاكم إلى كتاب الله ـ « فليس من الله فى شىء » . . ولا علاقة له بالله فى شىء ولا صلة بينه وبين الله فى شىء . . مجرد من يتولى وينصر أو يستنصر أولئك الكفار الذين يرفضون ان يتحاكموا إلى كتاب الله . ولو ادعوا انهم على دين الله !

ويشتد التحذير من هذه الولاية التى تذهب بالدين من أساسه . ويضيف

السياق إلى التحذير التبصير . تبصير الجماعة المسلمة بحقيقة القوى التى تعمل فى هذا الوجود . فالله وحده هو السيد المتصرف . مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء . فلا داعى إذن لولاية غيره من العباد مهما يكن لهم من قوة ومن مال وأولاد .

ويشى هذا التحذير المؤكد المكرر بما كان واقعاً فى الجماعة الإسلامية يومذاك من عدم وضوح الأمر تماماً ومن تشبث بعضهم بصلاته العائلية والقومية والاقتصادية مع المشركين فى مكة ومع اليهود فى المدينة مما اقتضى هذا التفسير والتحذير . كما انه يشى بطبيعة ميل النفس البشرية الى التأثر بالقوى البشرية الظاهرة وضرورة تذكيرها بحقيقة الأمر وحقيقة القوى ، إلى جانب إيضاح أصل العقيدة ومقتضياتها فى واقع الحياة . فما ولاء المؤمن إذن لأعداء الله ؟ إنه لايجتمع فى قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه . ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لايرتضى أن يحكم كتاب الله فى الحياة سواء كانت الموالاة بمودة القلب أو بنصره أو باستنصاره (ليس من الله فى شىء) لا فى صلة ولا نسبة ولا دين ولا عقيدة ولا رابطة ولا ولاية . فهو بعيد عن الله ، منقطع الصلة تماماً فى كل شىء تكون فيه الصلات .

وجاء فى تفسير القرطبى عن نفس الآية الكريمة :

قال ابن عباس : نهى الله المؤمنين ان يلاطفوا الكفار فيتخذوهم أولياء ومثله « لاتتخذوا بطانة من دونكم » ومعنى فليس من الله فى شىء أى فليس من حزب الله ولا من أوليائه فى شىء .

وجاء عن نفس الآية فى تفسير ابن كثير :

نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين ان يوالوا الكافرين وان يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) أى ومن يرتكب نهى الله فى هذا فقد برىء من الله .

(وهكذا نرى ان معانى الآيات واضحة ولاخلاف حول تفسيرها ولكننا سنواصل العرض طالما أن هناك من علماء السلطان والمعمّمين من اجترأ على كتاب الله وعلى ماهو معلوم من الدين بالضرورة . . لنواصل عرض الآيات وتفسيراتها لعلها تخجلهم أو تخرس ألسنتهم !!) .

وعن نفس الآية تفسير الأستاذ أحمد حسين :

كل من اتخذ من الكافرين ولياً (أى صديقاً ونصيراً) والموالاة فى اللغة تطلق على الحب والصداقة كما تطلق على النصرة . ونخلص من ذلك ان القرآن الكريم نهى بصريح النص عن موالاة الكفار باتخاذهم أنصاراً وأصدقاء من دون المؤمنين ويحكم الله على من والى الكفار بان الله برىء منه وفى آية أخرى يقول تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) أى يصبح من الكفار أعداء الله .

تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

إذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك ويعز ويذل وبيده وحده الخير والخلق والرزق فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم ، متجاوزين نصرة المؤمنين لان فى هذا خذلاناً للدين وإيذاء لأهله . واضعافاً للولاية الإسلامية ، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك فى شىء .

آل عمـــــران الآية ١٠٠ :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) .

وكان السبب المباشر لنزول الآية هو المؤامرة اليهودية للايقاع بين الأوس والخزرج كى يعودوا بعد تآخيهم فى الايمان إلى الاقتتال الجاهلى . . وعن المعانى الخالدة لهذه الآية يقول الشهيد سيد قطب (فى ظلال القرآن) : لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشىء فى الأرض طريقها على منهج الله وحده متميزة متفردة ظاهرة لقد انبثق وجودها ابتداء من منهج الله ، لتؤدى فى حياة

البشر دوراً خاصاً لاينهض به سواها . لقد وجدت لإقرار منهج الله فى الأرض . وتحقيقه فى صورة عملية . ذات معالم منظورة . وهى لاتحقق غاية وجودها إلا إذا تلقت من الله وحده لا التلقى من أحد البشر ولا طاعة أحد من البشر . إما هذا وإما الكفر والضلال والانحراف .

إن طاعة أهل الكتاب والتلقى عنهم واقتباس مناهجهم وأوضاعهم تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية والتخلى عن دور القيادة الذى من أجله أنشئت الأمة المسلمة . كما تحمل معنى الشك فى كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعداً فى طريق النماء والارتقاء . هذا من جانب المسلمين أما هذا الفريق أهل الكتاب فهم لا يحرصون على شىء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها فهذه العقيدة هى صخرة النجاة وخط الدفاع ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة وأعداؤها يعرفون هذا جيداً . وحين يجدون من بعض المسلمين طواعية واستماعاً واتباعاً فهم ولاشك سيستخدمون هذا كله فى سبيل الغاية التى تؤرقهم وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال .

آل عمـــــران ١١٨ :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا . ودوا ماعنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) .

ســـــــيد قطب :

يجىء التحذير للجماعة المسلمة من ان تتخذ من أعدائها الطبيعيين بطانة وان تجعل منهم أمناء على أسرارها ومصالحها وهم للذين آمنوا عدو . والمسلمون فى غفلة عن أمر ربهم . ألا يتخذوا بطانة من دونهم بطانة من ناس هم دونهم فى الحقيقة والمنهج والوسيلة . وألا يجعلوهم موضع الثقة والسر والاستشارة . المسلمون فى غفلة عن أمر ربهم هذا يتخذون من أمثال هؤلاء مرجعاً فى كل أمر وكل شأن وكل وضع وكل نظام وكل تصور وكل منهج وكل طريق !

أحمـــد حســـين :

هذه الآية دعوة للمؤمنين فى كل زمان ومكان إلى أبد الآبدين ان لايتخذوا أى لا يركنوا ويثقوا بأحد .

من دونكم : أى من غير أنفسكم ، من سواكم (أى أى جماعة بخلاف جماعة المؤمنين) بطانة : بطانة الرجل خاصته وموضع سره ، مأخوذ من بطانة الثوب أى باطنه وهو عكس الظهارة أى ظاهر الثوب . لا يألونكم خبالا : من الألو وهو التقصير والضعف .

الخبال : الفساد . والمعنى انهم لا يقصرون عن افسادكم بكل الوسائل والطرق الظاهرة والخفية .

ودوا ماعنتم : أى تمنوا ورغبوا أشد الرغبة (ماعنتم) من العنت وهو المشقة . أى أنهم يتمنون من صميم قلوبهم ان تغرقوا فى خضم المشاكل والمصاعب والأزمات ويعملون جاهدين على افسادكم .

القرطبـــــــى :

أكد الله تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار ونهى الله المؤمنين ان يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم فى الآراء ويسندون إليهم أمورهم . وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) . وروى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تستضيئوا بنار المشركين) وفسره الحسن بن أبى الحسن فقال : أراد عليه السلام لا تستشيروا المشركين فى شىء من أموركم .

آل عمـــران ١٤٩ ـ ١٥٠ :

(يا أيها الذين أمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) .

ابن كثيـــــــر :

يحذر تعالى عباده المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الـردى فى الدنيا والآخرة ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه ، ويروى سيد قطب فى ظلال القرآن حول هذه الآيات التى وردت حول فترة أحـد ان قوماً من الأنصـار سألـوا رسـول الله ﷺ ان يستعينوا بحلفائهم من اليهود فأبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالمعركة هى معركة الإيمان والكفر فما ليهود بها ؟ والنصر من عند الله حين يصح التوكل عليه وتتجرد القلوب له .

النســـــاء ٨٩ :

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فإن تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيراً) .

وفى هذه الآية نهى عن تولى المنـافقـين الذين يدّعون الإسلام . . ولا يجاهدون فى سبيل الإسلام بل ينضمون الى اعدائه . .

وهكـذا نرى أن الآيات المتوالية تحرم موالاة غير المؤمنين : سواء أكانوا كفاراً أو مشركين أو منافقين أو من أهل الكتاب ، وبالنسبة لأهل الكتاب فإن الإسلام يفرق بين المعتدين والمسالمين . . وبين الذميين (من مواطنى دولة الإسلام) وبين الحربيين (أهل الكتاب المحاربين لدولة الإسلام) وهو الأمر الذى نفصل أحكامه فى نقطة تالية من دراستنا . . ولكننا نود أن نؤكد من البـداية أن موضوع الدراسة ينصب بالاساس على الكفار والمشركين وأهل الكتاب المحاربين للإسلام (الغرب الاستعمارى) وحكمهم فى القرآن واحد أى تحريم موالاتهم وهو تحريم قاطع كما رأينا وكما سنرى من باقى الآيات .

النســـاء ١٣٨ ـ ١٣٩ :

(بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) .

تضيف هاتان الآيتان معنى إضافياً فهى تصف الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بأنهم المنافقون ، والمنافقون فى القرآن الكريم هم الذين يدعون الإسلام . . دون أن يكونوا مؤمنين فى قرارة أنفسهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) .

ويشرح الإمام رشيد رضا فى تفسيره المنار آية سورة النساء بقوله : ثم وصف هؤلاء المبشرين (المنافقين) بأنهم يتخذون الكافرين المعادين للمؤمنين أولياء وأنصارا ، متجاوزين ولاية المؤمنين وتاركيها إلى ولايتهم وممالأتهم عليهم لاعتقادهم أن الدولة ستكون لهم فيجعلون لهم يدا عندهم (أيبتغون عندهم العزة) استفهام تقريع وتوبيخ . ان كانوا يبتغون عندهم العزة وهى المنعة والغلبة ورفعة القدر (فإن العزة لله جميعا) فهو يؤتيها من يشاء فكان عليهم أن يطلبوها منه بصدق الايمان والسير على سنته تعالى واتباع هداية وحيه الذى يرشدهم إلى طرقها ويبين أسبابها ، وقد آتاها الله نبيه والمؤمنين باهتدائهم بكتابه ، وسيرهم على سننه ، ولما أعرض المسلمون عن هذه الهداية التى اعتز بها سلفهم ذلوا وساءت حالهم ، وصار فيهم منافقون يوالون الكفار دونهم ، يبتغون عندهم العزة والشرف وما هم له بمدركين فعسى الله أن يوفق المسلمين إلى الرجوع إلى تلك الهداية فيعودوا إلى حظيرة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

ويقول ابن كثير : ان الله ينهى عن مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم . وأولياء أيضاً بمعنى نصراء .

المـــــائدة ٥١ ـ ٥٢ :

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتِىَ بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) .

يقول القرطبى نزلت هاتان الآيتان يوم أحد حين خاف المسلمون حتى هم قوم منهم أن يوالوا اليهود . وقيل انها نزلت فى عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبى بن سلول حيث تبرأ عبادة - رضى الله عنه من فكرة موالاة اليهود وتمسك بها بن أبى وقال : إنى أخاف ان تدور الدوائر .

(ومن يتولهم منكم) يعضدهم على المسلمين (فإنه منهم) أى حكمه كحكمهم . وهـذا الحكم باق إلى يوم القيامـة فى قطع الموالاة . وقد قال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) .

(الموالاة) النصـــرة .

(فإنـه منهم) وجبت معـاداته كما وجبت معاداتهم ووجبت له النار كما وجبت لهم فصار منهم أى من أصحابهم .

ونؤكد هنا أيضا أن سياق الآيات الكريمة يشير إلى أهل الكتاب المحاربين للإسلام ولدولته .

المائـــــدة : ٥٧ :

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) .

يقول القرطبى : لما أراد النبى الخروج إلى أحد جاء قوم من اليهود فقالوا : نسير معك فقال عليه الصلاة والسلام (انا لانستعين على أمرنا بالمشركين) .

المائـــــدة : ٨٠ - ٨١

(ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخِط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكنَّ كثيراً منهم فاسقون) .

وهذه الآيات نزلت فى بنى إسرائيل لأنهم كانوا يتعاونون مع الكفار ضد الإسلام والمسلمين فهل نحذو اليوم حذو بنى إسرائيل ؟!!

الأنفـــال : [٦٤] :

(يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) حصرت هذه الأية عدة النبى فى نصره . . وهى الله ومن اتبعـه من المؤمنـين وفى تفسـير آخر حسبك أنت والمؤمنين الاعتماد على الله .

الأنفـــال : ٧٣ ـ ٧٥ :

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنةٌ فى الأرض وفسادٌ كبير) (والذين أمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم) .

فالذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل متعاونون فى عداوتكم فلا توالوهم ، فإن خالفتم وواليتموهم تقع الفتنة فى صفوفكم والفساد الكبير فى الأرض . وإنه حقاً لوصف دقيق للفتنة الكبرى التى تمثلها القـوات الأمريكية والغربية فى بلاد الحرمين الشريفين . والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيراً وجاهدوا مع السابقين فأولئك منكم ياجماعة المؤمنين ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض . وذوو الأرحام من المؤمنين لهم ـ فضلاً عن ولاية الايمان ـ ولاية القرابة فبعضهم أولى ببعض فى المودة والمال والنصرة والتأييد وقد بين ذلك فى كتابه وهو العليم بكل شىء .

ســــــورة التوبة :

الأيات السـابقـة كانت نهاية سورة الأنفال التى خُتمت بالكشف عن الحدود الفاصلة بين المؤمنين وغير المؤمنين بحيث وضح موقف كل منهما من الآخر ، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، والكافرون بعضهم أولياء بعض .

وبدأت سورة التوبة بهذا الإعلان العام الذى كان تطبيقاً للأحكام التى تضمنتها الآيات الواردة فى آخر الأنفال ، من عزل المؤمنين عن الكافرين حيث قضى هذا الاعلان ببراءة الله ورسوله من المشركين ومن العهود المعقودة معهم . ومن المهم ان نشـير إلى أن سورة التوبة هى آخر سورة نزلت من القرآن الكريم على أرجح الأقوال .

(براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) هو اعلان بقطع العلائق التى كانت تصل المؤمنين بالمشركين من عهود ومواثيق وذلك لما أحدث المشركون من عبث بهذه العهود واستخفاف بها ، إذ أنهم كانوا لايتمسكون بها إلا إذا وجدوا فى ذلك مصلحة محققة لهم فإذا أمكنتهم الفرصة من المسلمين أنكروا هذه العهود .

(أن الله برىء من المشركين ورسوله) ماعدا (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم الى مدتهم) (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) (كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) (لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) (أم حسبتم ان تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) .

كانت هذه الآيات القاطعة آخر توجيهات السماء إلى الأرض بعد أن اكتملت الشريعة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) فقد اكتمل كيان الأمة الإسلامية ، ولكننا نسينا هذه الأحكام فى ذلك الانهيار والتبعية وحيث أصبحت حياتنا بكل تفاصيلها مرتبطة بخيوط أئمة الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله حتى ان العلماء قالوا ان المشرك القادم من دار الحرب لايجوز ان يقيم فى دار الإسلام سنة وتراوح رأى العلماء بين جواز بقائه بين ٤ شهور وأقل من عام . ولو اطلع هؤلاء العلماء على حال المسلمين الآن لضربوا صدورهم بأيديهم ان خبراء المشركين يقيمون ويديرون اقتصادياتنا وجيوشنا . . الخ الخ .

القرطبـــــى :

(واحصروهم) يريد عن التصرف الى بلادكم والدخول إليكم إلا أن تأذنوا لهم فيدخلوا إليكم بأمان .

(طعنوا فى دينكم) أى بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك . واستدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن فى الدين إذ هو كافر . وقال ابن المنذر : أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبى صلى الله عليه وسلم عليه القتل . وممن قال ذلك مالك والليث وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعى (نتذكر فتوى الإمام الخمينى بحل دم مؤلف « آيات شيطانية » سلمان رشدى الذى سب فيه رسول الله وتطاول عليه) .

(أئمة الكفر) قادة الكفر ورؤساؤه (وليجة) بطانة والمعنى واحد نظيره (لاتتخذوا بطانة من دونكم) والمقصود بطانة من المشركين يتخذونهم ويفشون إليهم أسرارهم ويعلمونهم أمورهم !

(ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) .

بعد أكثر من ١٤ قرناً من نزول القرآن تأتى قوات أمريكية وغربية مشكلة من الكفار واليهود والنصارى بدعوى حماية بلاد المسجد الحرام !!

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا آباءهم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) .

القرطبـــــى :

خطاب لجميع المؤمنين كافة وهى باقية الحكم إلى يوم القيامة فى قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين ، وقد أضافت بالمقارنة مع الآيات المشابهة عدم استثناء الأقارب الآباء والاخوة وليس هناك أقرب إلى الانسان من الأب والأخ .

(يا أيها الذين أمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد

عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يُغْنِيكُم الله من فضله إن شاء ان الله عليم حكيم) .

القرطبـــــــى :

المسجـد الحـرام يطلق على جميع الحـرم ، أما جزيرة العرب وهى مكة والمدينة واليمامة واليمن ومخاليفها فقال مالك يخرج من هذه المواضع كل من كان على غير الاسـلام ولا يمنعـون من التردد بها مسافرين . وكذلك قال الشافعى رحمه الله غير انه استثنى من ذلك اليمن . ويُضرب لهم أجل ثلاثة أيام كما ضرب لهم عمر رضى الله عنه حين أجلاهم .

وهكذا تتضح حرمة وجود القوات الأمريكية فى جزيرة العرب .
(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) .

قاتلوا المشركين مجتمعين غير مفترقين ، مؤتلفين غير مختلفين كما يقاتلونكم هم بدورهم موحـدين متكـاتفين على صعيد واحد . وبمفهوم المخالفة لا تتفرقوا وتخلطوا المواقف بين المؤمنين والمشركين . ويجب أن يكون كل خندق واضحاً بلا لبس ولا تداخل .

ونكتفى بالتفسيرات السابقة ونثبت باقى الآيات المماثلة فى حكمها :

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) (٤٧) التوبة .

(إن تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) (٥٠) التوبة .

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُمُ النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون) (هود ١١٣) .

(فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) (الفرقان ٥٢) .

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) العنكبوت) (٤١)

(يا أيها النبى اتق الله ولا تُطِع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما) (الأحزاب ١) .

(ولا تطعْ الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) (الأحزاب ٤٨) .

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد) . (الزمر ٣٦) .

(إنهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بَعضُهم أولياءُ بعض ، والله ولى المتقين) (الجاثية ١٩) .

(ألم تر إلى الذين تولَّوا قوماً غَضِبَ الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) (المجادلة ١٤) .

(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءكم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (المجادلة ٢٢) .

(يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوُّكم أولياء تُلْقُون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تُسِرُّون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .

(الممتحنة ١)

(إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولَّوْهم ومن يتولَّهم فأولئك هم الظالمون) .

(الممتحنة ٩)

(يا أيها الذين أمنوا لاتتولَّوْا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يَئِسَ الكفار من أصحاب القبور) .

(الممتحنة ١٣)

عذر مرفـــــوض :

ولا عبرة بما قد يسوقه البعض دفاعاً عن موالاته للذين كفروا ، بأنه إنما يفعل ما يفعل حماية لأولاده أو ذوى قرباه فكل ذلك لايدفع عن الإنسان يوم القيامة لقوله تعالى :

(ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّو لو تكفـرون . لن تنفعكم أرحـامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصِلُ بينكم والله بما تعملون بصير) .

(الممتحنة ٢ ـ ٣)

حـكـــــم الدين :

والآن ماهـو حكم الـدين فى جحـافـل القـوات الأمـريكية والبريطانية والفـرنسية وغـيرهـا من القوات الغربية الجاثمة على أرض الجزيرة العربية وبعض امـارات النفط فى الخليج ، وهى على وشك ان تتجاوز ١/٢ مليون جندى مدججين بأحدث أسلحة الدمار التقليدية والنووية بالإضافة لعشرات القطع البحرية العسكرية فى الخليج ومئات الطائرات الحربية بدعوى الدفاع عن الأراضى المقدسة ضد غزو عراقى محتمل .

هذا ما سنتناوله فى الصفحات التالية .

حكــــــم الدين

فى الحشــود العسكرية الغربية فى الخليج والجزيرة العربيــة

من نتـائج أزمة الخليج أنها فتحت الملفات المغلقة وما أكثرها . . وعلى رأس هذه الملفات قضية موالاة الكافرين والمشركين . . فهذا التعبير اللغوى الفذ الذى جاء فى كتاب الله عز وجل . . من آيات اعجازه . . فالموالاة فى اللغة العربية . . تتراوح بين الملاطفة والتودد مروراً بالصداقة والحب والثقة انتهاء بالنصرة أو الاستنصار . . وهكذا نجد لفظاً واحداً يحتمل كل هذه التلاوين من الدرجات . . ومن مستويات التحالف والتعاطف والتآلف . .

والطريف أن كبار المفسرين لم يخطر على بالهم مسألة الاستعانة « بالكفار ضد المسلمـين » فجنحـوا فى تفسـيراتهم إلى المستويات الدنيا من التعاون كالملاطفة والتودد والتناصح . . ووضع الكافرين موضع الثقة .

ولكن عظمة التشريع الإلهى ، وضعت من النصوص ما يحتمل مختلف المواقف بما فيها هذا الموقف الشاذ الذى نحياه الآن . . وان لم يكن فريداً فقد تكرّر فى كل عهود تراجع الحضارة الإسلامية . . خلال الغزوات الصليبية ، وخــلال فترة الانهيار بالانـدلس . . حيث تحالفت إمـارات إسـلامية مع الاستعمار الصليبى ضد امارات إسلامية أخرى !

وبـالتـالى فإن المـوالاة لغـوياً تشتمـل على هذا الاحتـمال أى التحالف العسكرى ضد المسلمين . . مع ملاحظة أن كثيراً من هذه الآيات كانت تنهى عن موالاة المشركين فى جهاد المسلمين ضد مشركين آخرين !! كالركون إلى يهود المدينة فى الجهاد ضد مشركي مكة . ولم تنص أى آية بشكل قطعى على رفض المـوالاة الحـربية ضد المسلمين لأن القرآن منزل إلى عقلاء . . فكيف يمكن لمسلم ان يستدعى مشركاً لمحاربة مسلم . ويظل مسلماً !؟!
﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ صدق الله العظيم .

نقـول ان أهمية فتح هذا الملف لاتقتصر على مسألة الحشود العسكرية الأمـريكية والغربية التى تدفقت ومازالت تتدفق إلى أرض الجزيرة العربية رغم الخطورة الفادحة لذلك . . ففتح ملف (عدم موالاة المشركين) يعنى مراجعة ما تعودنا عليه فى حياتنا اليومية باعتباره من البديهيات . . الاعتماد فى السياسـات الاقتصادية على تعليمات صندوق النقد الدولى . . والبنوك الصهيونية العالمية . . ونصائح الولايات المتحدة . . والركون بلا حدود إلى المستشارين والخبراء الأجانب فى كل صغيرة وكبيرة من حياتنا . . ووضع كل أسرارنـا العسكـرية فى أيديهم . . واعتـمادنـا فى التسليح على ما تجود به مخططاتهم . . الاستـدانـة منهم بلا حدود . . واجـراء منـاورات عسكرية معهم . . الخ الخ إلى أخره من الأمور التى ليست الآن محل بحثنا . . ولكننا نشير اليها باعتبار ان اجتياح القوات الأمريكية لأرض الجزيرة العربية جاء فى سياق موالاة الغرب التى ينتهجها حكام المنطقة منذ سنوات ولم يعد باقيا سوى أن تقـوم الدول الغربية بحماية الأمن المباشر لأنظمة الحكم العربية وفض المنازعات بين الدول العربية ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

تطبيق أحكام القرآن على احداث الخليج :

ولنبـدأ بتتبع أحداث الخليج من زاوية موالاة المشركين والتى لم يستطع « علماء » السلطان ان يجدوا أى مبرر لها من القـرآن . . فقـالـوا انها حالة الضرورة . . والقاعدة الفقهية تقول (الضرورات تبيح المحظورات) .

ولنبدأ أولا بقضية استدعاء القوات الأمريكية . .

ليس صحيحـاً أنـه كان هناك استدعاء للقوات الأمريكية . . بل لقد فرضت أمريكا وجودها العسكرى على حكام الخليج والذين لايمكنهم ان يردوا لها طلبـاً . . طالما أن الأمر يمس المصالح الحيوية الامريكية . وهل يمكن من الناحية النظرية تصور ان ترفض السعودية الطلب الامريكى . . وكل أموال السعودية فى البنوك الامريكية . . وكل النظام الأمنى والعسكرى فى السعودية والخليج قائم على التعاون الوثيق مع الجيش الامريكى (لاحظ تصريحات الامريكيين بأنهم متواجدون فى المنطقة منذ عام ١٩٤٧) .

وهـل يمكن تخيل أن حشد نصف مليون جندى أمريكي وما يصاحب ذلـك من تكلفـة سياسية وعسكـرية ومالية عالية كان قراراً سعودياً ؟! أو عربيا ؟! ان الاجـابـة على هذا السؤال بنعم . . تعنى منتهى السـذاجـة السياسية مع افتراض أكثر درجات حسن النية !

إن القرار كان أمـريكيا واتخـذ الغـطاء السعـودى . . فى إطار تخويف السعودية من احتمال غزو عراقى . . وتؤكد الآن كثير من المصادر الغربية ان هذا الغزو لم يكن وشيكاً . . ولا محتملاً .

وتسـوق مجلة نيوزويك فى عددهـا الصادر ١٧ سبتمبر ١٩٩٠ الحقائق التـالية التى استقتها من الادارة الامريكية ولم تنفها السعودية ولا أى دولة أخرى . . تقول المجلة الامريكية وثيقة الصلة بالادارة وبالمخابرات الامريكية :

انه فى ٦ أغسطس : سافر وزير الدفاع الأمريكى إلى السعودية لمقابلة الملك فهد وكان بوش ـ فى سلسلة من المكالمات الهاتفية مع فهد ـ قد ناقش بالفعل ارسال قوات أمريكية إلى المملكة . خطة بوش (لاحظ تعبير خطة بوش) كانت تتمثل فى اصدار تعليمات سرية بارسال قوات إلى المنطقة فى وقت لاحق من يوم الاثنـين ٦ أغسـطس . وبـدأت القوات بالتحرك يوم الثلاثاء ٧ أغسطس على أن يعلن بوش هذا القرار يوم الأربعاء ٨ أغسطس ، صباح يوم الأثنين ٦ أغسطس اتصل وزير الخارجية الأمريكى بيكر بنظيره السوفيتى . . ليخبره بالتحرك العسكرى . . ودار حوار حول امكانية مشاركة السوفيت بقوات بحرية أو برية . . ولم يجر الحديث عن استئذان السعودية فى ذلـك !! وكـانت العلاقات الدبلوماسية مازالت مقطوعة بين السوفيت والسعودية فى ذلك الوقت . .

وهكـذا فإن الحقـائق تتحـدث عن نفسهـا . . ودعـونا إذن من قضية استـدعـاء أو الاستعـانـة بالقوات الامريكية . . نحن أمام احتلال وغزو أمـريكى لأرض الجـزيرة العـربية . . وان الحصـول على الموافقة الشكلية للحاكم العربى ليس بالأمر الجديد فى التاريخ الاستعمارى الطويل ، ، فغالباً مادخلت جيوش الغزاة بطلب من ثم بمساندة حكام محليين .

ومع ذلك فإننا سنواصل الجدل لتتبع باقى الحجج . . وليس لاننا نسلم بان السعودية بمطلق حريتها قررت الاستعانة بالمشركين !!

قال الكاتب « الفذ » خالد محمد خالد فى حديث تلفزيونى . . من قال إنها قوات « أجنبية » بل هى قوات «دولية»،/وهذا بالطبع نوع من الهزل . . ولكنه أراد أن يكون « جاداً » فقال انهم ليسوا بمشركين أو كفار . . انهم أهل كتاب !!

وهكـذا فإن الاستـاذ / خالد يتخبط فى أيامه الأخيرة وكأنه يحنّ لأيامه الخوالى . . ويتلاعب بثوابت الدين . . أو ماهو معلوم من الدين بالضرورة . .

فقـد ذكـرنا فيما سبق من الآيات ان القرآن ينهى عن موالاة الكفار أو المشركين أو المنافقين أو أهل الكتاب من دون المؤمنين . وفى هذا الرد الكافى على « سعـادته » ونحن لانريد ان نخرج عن موضوعنا (لمواجهة حالة من الهذيان ألمت بأستاذنا) فالموقف الإسلامى من أهل الكتاب على قدر عظيم من الأهمية . . ولكننا فى عجالة . . وبما يمسّ موضوعنا . . نقول باختصار ان الموقف القـرآنى لم يتحدث عن أهل الكتاب ككتلة واحدة وانما فرقت عشرات الآيات بين صنفين من أهل الكتاب . . ولا نقصد التفرقة العامّة بين اليهود والنصارى ولكن أيضاً التفرقة بين نوعين من أهل الكتاب من زاوية التقوى . . ولابد من الاشارة الى ذلك حتى لايفهم أحد ان معاداة الاستعمار الامريكى تعنى معاداة أهل الكتاب من أهلنا فى مصر .

وأضرب مثالاً (ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) (آل عمران ١١٣) (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) (آل عمران ١١٥) .

نعم ليس أهل الكتاب سواء . .

(ومن أهـل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك الا مادمت عليه قائماً) (آل عمران ٧٥) وهكذا فإنهم ليسوا كتلة واحدة . ولكن كيف نميز بينهم ؟ هل سندخل فى قلوبهم ؟! لا

بالطبع فالله وحده المطلع على القلوب . . ولكن لنا الأعمال الظاهرية . . أما بالنسبة لموضوعنا فإن الآية الكريمة تفصل فيه . .

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

وليكن الأمريكيّون أهل كتاب . . ولكنهم من الصنف المعتدى . . الذى أخرجنا من ديارنا وظاهر على اخراجنا . . وهم محاربون وأعداء . . وليسوا أهـل عهد ولا ميثاق ولا ذمة ، فلولا الدعم الامريكى المكثف لما استطاع الكيان الصهيون ان يجثم على أرض فلسطين والقدس والمسجد الأقصى .

وبالاضافة لذلك نحن لاندرى ما علاقة السلطة والسياسة الامريكية بالانجيل ؟!

ما علاقـة المسيحية بشن الحـرب واستعمار العالم . . وألا يضم الجيش الأمـريكى يهوداً وكفـاراً يعلنـون كفـرهم على الـطوائف المختلفة المشهورة والمنتشرة فى أمريكا . . لنتجاوز إذن هذا التشويش . . أن الامريكان أهل كتاب . . لنبحث عن حجج أخرى ربما تكون أكثر جدية . لاننا نتعامل مع السلطة المادية الامريكية لا مع الافراد الامريكيين المتناثرين . .

حالة الضـرورة . . وانعـدام البديل :

يصرخ كثير من أنصار القوات الأجنبية بالقول . . وماذا كان البديل ؟! انها الضرورات التى تبيح المحظورات . .

البـدائـل العربية والإسلامية كانت متوفرة ولكن الحل الأمريكى فرض علينا فرضاً . . كما ذكرنا يوم ٦ أغسطس ، بينما اجتمع مؤتمر القمة العربى يوم ١٠ أغسـطس فبـدلاً من أن يبحث عن حل عربى . . ارتضى الحل الأمـريكى . . ووافقت الحكـومـات فى مصر وسوريا والمغرب على تغطيته بقوات رمزية . .

ونحن نقول وبعد مضىّ شهور على احتلال وضم الكويت . . وانتفاء خطر الغزو العراقى للسعودية . . ماهى الخطوات التى اتخذت لاستبدال قوات عربية وإسلامية بالقوات الأمريكية التى جاءت على عجل لانقاذ الموقف ؟ وهل تشكيل قوة إسلامية رادعة مسألة تحتاج لسنوات ولقرون ؟! ان مؤتمر علماء المسلمين فى مكة دعا الى تشكيل هذه القوات . . وهل تحتاج هذه القوات لأكثر من شهرين أو ثلاثة . . ألا تتشكل من جيوش قائمة بالفعل تم إنفاق عشرات المليارات على تسليحها . . أم إنها كانت مجهزة فقط لحماية الأنظمة من المظاهرات والهبات الشعبيه ؟!

دعنا نقول الصدق ، لو كانت العجلة . هى الأساس لكانت ايران أقرب إلى أرض السعودية من أمريكا . . وجيش ايران هو الذى صمد أمام العراق ٨ سنوات . . وكان بإمكانه أن يفصل بين الكويت والسعودية . . ولكن هل تعتبر السعودية ايران دولة إسلامية ؟! وهل كانت أمريكا تسمح بهذا ؟! لتضيع سيطرتها على نفط السعودية ؟!

البديل الإسلامى كان موجوداً . . جيوش مصر وايران وتركيا وباكستان والسعودية . . وسوريا . . وكانت أسرع فى الوصول إلى منطقة النزاع .

ويؤكد قائد الجيش الأمريكى فى السعودية انه ظل خائفا لمدة ١٠ أيام من احتمال تقدم القوات العراقية لأنها كانت ستسحق العدد القليل من القوات الأمريكية التى أمكن حشدها من أوروبا . . والواقع أن الحشد العسكرى الأمريكى لم يكتمل إلا بعد شهر من ٢ أغسطس . ومازال حتى الآن غير كامل من الناحية البرية !!

لو كان لدى العراق نية التقدم إلى السعودية لكان ذلك ممكنا وسهلاً وبأقل الخسائر فى الأيام الأولى . . ولكننا نفترض وجود هذه النية لمتابعة المناقشة .

فالبديل العربى والإسلامى كان موجوداً . . ولكن طبيعة أنظمتنا مرتبطة بشكل رأسى بالقوة الاستعمارية . . وغير مرتبطة بشكل أفقى بالدول العربية والإسلامية .

وهذا هو ماجعل البديل العربى والإسلامى غير واقعى . . إن عدم

واقعيته تعود إلى طبيعة نفس الأنظمة التى « طلبت » الوجود الأمريكى ، علاقـة السبب بالنتيجـة ونحن لايمكن ان نتجـاهـل السبب ونحن نقيّم النتيجة . الذين يقولون ان صدام حسين وبشعبه (١٧ مليون) أقوى من ٤٠ دولة إسلامية ومليار مسلم . . إذا كان ذلك حقيقياً . . فإنه يستحق أن يحكمنا . . ومن حقه أن يحكمنا . . وعلينا أن نقبل هذا . . لا نقول ان هذا يبرر وجود الأمريكان . . وأن يحكمنا المشركون والكفار .

ولكن الحقيقـة أن الجيش العراقى ليس بهذه القوة بالطبع . . والقضية ليست قوة عسكـرية مجردة ، فوجـود وحـدات من الجيوش الإسلامية على الحدود السعودية ـ الكويتية يمثل احراجاً أدبيا أكبر بكثير من عددها وكميات معداتها العسكرية . .

أما وجود قوات أمريكية . . فإنه يعطى للعراق قوة . . ويحوله إلى رأس حربـة للتصـدى للغـزوة الصهيونية الأمـريكية . . ويكسبـه شعبية عربية وإسلامية ، وتتوارى فى ظل هذا أزمة الكويت . . والخلافات حولها . .

الـذين يقـولون انه لابديل لأمريكا . . ينسون إن رسولنا عليه الصلاة والسـلام علمنا اننا أمة من دون الناس ، وأننا يد على من سوانا . . وان الخلافات والتناحر بيننا لايمكن ان ينسينا هذه الحقيقة الكلية . . (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

والقرآن الكريم يعلمنا (وان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله وإلى الرسول) ونحن عندما تنازعنا رددنا الأمر إلى أمريكا . . لا إلى الله ولا إلى الرسول . .

أمـا القـول بأن التدابير العربية الإسلامية قد لاتكون كافية نقول لماذا لاتركنون الى الله . . (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) . . ولا يمكن لأمة مؤمنة . . ان يخذلها الله . . ولكن الى أين انحدر إيماننا . . وماذا فعل بعقيدتنا وبأقلامنا النفط والمال النفطى . . وهذا ما سنأتى إليه فيما بعد . .

ورغم دفاع د . عبد الغفار عزيز عن موقف الاستعانة بالأمريكيين إلا أنه قال فى صحيفة الوفد (لو أعلنت السعودية انها تستعين بغير المسلمين لمحاربة

دولة إسلامية والاعتداء عليها لكان ذلك مرفوضاً ديناً وخلقاً لكنها لم تقل ذلك ولا تستطيع ان تقوله . . وأعلنت ان وجود قوات أجنبية ليس إلا للدفاع عن الأرض والحماية للعرض) .

ولو استبعدنا قضية (العِرض) لأن أمريكا لاتفهم هذا المصطلح . . ويثير الضحك لدى الامريكيين باعتباره من مظاهر تخلفنا . لو استبعدنا قيام أمريكا بحماية العِرض فإن د . عبد الغفار يرفض أن تشن أمريكا عدواناً على العراق . . باعتباره مخالفاً لتعاليم الإسلام . . وله جزيل الشكر على هذا ، ، ولكن لو قررت أمريكا شن هجوم عسكرى . . هل يمكن للسلطات السعودية ان توقف القرار ؟

الحقيقة ان السلطات الأمريكية مترددة فى اتخاذ قرار الحرب . . وفقاً لحساباتها الخاصة . . وحسابات مصالحها فى المنطقة والعالم . . وليس لأنها تأتمر بأوامر سعودية ! ثم ألا يشكل الحصار البحرى والجوّى بقوات أمريكية درجة من درجات الحرب لمحاصرة وتجويع الشعب العراقى المسلم . . واستناداً للقواعد الامريكية فى السعودية والخليج . وفى النهاية فإن كل متابع للسياسة يعلم أن قرار الحرب إذا أتخذ فسيتخذ فى واشنطن ولندن وباريس وموسكو وليس فى جدة أو الرياض .

ويمكن ساعتئذ ان تدّعى القوات الأمريكية ان الجيش العراقى هو الذى بدأ . . كما فعلت اسرائيل عام ١٩٦٧ .

والغريب ان د . محمد سليم العوا يقول فى (الوفد) « ان هناك تضخيماً لمسألة القوة العسكرية الأجنبية باعتبار أنها كانت موجودة وواقعة دائماً » . . فلو انها كانت موجودة دائماً هل أصبح ذلك واقعاً يجب ان نقبله . وهل صحيح انه لايوجد فرق بين وجود قواعد عسكرية قليلة أو بعض قطع أسطول . . وبين هذا الحشد الرهيب من القوات الذى لامثيل له منذ الحرب العالمية الثانية . . ان التحرك العسكرى الأمريكى ضخم بالفعْل ولا يحتاج إلى أى تضخيم من أحد . . وهل يمكن تصور ان هذه القوة لن تخدم السياسة الامريكية فى المنطقة . . ولماذا إذن لاينزعج المسلمون ؟ وهل

صحيح كما تقول (ان غدر الشقيق أبعد ايذاءً من انتهازية العدو المتربص) وكأنك تضع خطر الشقيق العراقى فوق خطر الغزو الأمريكى . . وكيف يمكن أن نضبط هذا الرأى بمعايير وأحكام الشريعة السالفة الذكر . ؟!!
من السبب الرئيسى فى جلب هذه القوات ؟

يقول (علماء السلطة) ان العراق هو سبب مجىء القوات الأجنبية . . وبالتالى فإنه سبب البلاء . . ونحن نقول نعم ان غزو الكويت كان السبب . . ولكن بمعنى الذريعة والحجة . . فقوات الانتشار السريع معدة منذ اواخر السبعينات للتدخل واحتلال حقول النفط . . وان هذه القوات عندما تأتى فإنها تأتى فى اطار أهدافها ومخططاتها . . وهى السيطرة على نفط الخليج واخضاع المنطقة لهيمنتها . . وضرب القوة العسكرية الاسلامية والعربية ممثلة فى العراق ثم فى ايران . فالولايات المتحدة لم تترك هذه المنطقة للاحتمالات أو للصدف فقد سلحت شاه ايران لحماية الخليج وبعد سقوطه فى عام ١٩٧٩ تآمرت لاشعال الحرب العراقية الايرانية لتضرب الثورة الاسلامية فى ايران بمساعدة كل دول الخليج . وأيضاً لتضرب القوتين العراقية والايرانية بعضها ببعض حيث انها لاتأمن جانب أى منهما . وعندما انتهت الحرب تصورت أمريكا لأول وهلة أن القوتين الكبيرتين خرجتا مدمرتين وفى حاجة إلى فترة طويلة من التعمير . . إلا أن العراق لم يتخل عن خطته فى دعم قوته العسكرية وكذلك الأمر بالنسبة لايران (حصلت مؤخراً على طائرات ميج ٢٩) . وكانت أمريكا مستعدة للقيام بدور مباشر فى حراسة الخليج وهذا ما أكده بوش ووزير دفاعه فى مارس الماضى عندما تقدما بميزانية حرب كبيرة . . ولما اعترض الكونجرس على ذلك وبالاخص بعد الوفاق مع السوفيت أكد بوش ان الجيش الامريكى لديه مهام كبرى وفى مقدمتها احتمال القيام بأعمال عسكرية فى الخليج (أعلن ذلك فى مارس ١٩٩٠) .

وبدأت الولايات المتحدة والغرب فى محاصرة العراق لمنعه من مواصلة عمليات تطويره العسكرية والتكنولوجية . وبدا واضحاً ان العراق يعمل خارج السيطرة الامريكية . . وكان لابد من تحجيمه ومحاصرته . . وعملية

غزو الكويت أثبتت ان العراق لايعمل فى إطار التوجهات الامريكية ، وإنه خرج من حرب الثمانية أعوام أكثر استعداداً للنشاط فى المنطقة بالمقارنة مع ايران . . والولايات المتحدة لاتسمح بأى تحركات فى المنطقة تكون بعيدة عن السيطرة . . خاصة بعد ضياع ايران الشاه ، وبالتالى فإن مجىء القوات الأمريكية كان مقرّراً بهذه الصورة أو تلك .

وقد يقول البعض ان صدام حسين قد أخطأ لأنه أتاح الفرصة للامريكيين ان ينفذوا أهدافهم . . وحتى لو كان هذا صحيحاً . . فإنه لايبرر تشجيع أو تأييد احتلال الامريكيين للمنطقة . لانه يأتى فى إطار مخططاتهم الاستعمارية هم . . وليس فى إطار تطبيق أحكام الشريعة الخاصة بمقاتلة الباغى !!

نحن مسئولون أمام الله عن حماية أراضينا ومقدساتنا . . وعندما يحاسبنا الله . . لن نقول لله عز وجل إن صدام حسين هو السبب ! كل استعمار وله سبب مباشر أو ذريعة . . ولكنه لايسقط فريضة الجهاد ضد هذا الاستعمار . . أما الذين قد يكونون السبب فى مجيئه . . فحسابهم بعد اجلاء القوات الأجنبية الغازية .

ان قضية من السبب ؟ أصبحت فى ذمة المؤرخين . . أما نحن الذين سندفع ثمن هذا التواجد الغربى المكثف على أرضنا . . فنحن الذين سندفع الثمن . وليس صدام حسين . . نحن الذين سندفع الثمن من استقلالنا وكرامتنا . . والأمثلة لاحصر لها فى التاريخ . . فعَبرْ كل الغزوات الصليبية . . كانت الشعوب تتصالح مع حكامها . . حتى تتم منازلة الغزاة . . وبعد دحرهم . . يأتى الحساب الداخلى . . ان القاء اللوم على النظام العراقى لايغير من أمر وجود هذه القوات الأجنبية التى تعلن انها جاءت لتبقى . . ولسنوات . . ثم بدأت تطرح فكرة الحلف العسكرى الدائم فى المنطقة . . فهل سنوافق أيضاً على الحلف العسكرى بحجة ان صدام حسين هو السبب ؟! إنه هروب من تبعات الغزو الاستعمارى الجديد الذى جاء بمحض ارادته ولن يجلو إلا رغماً عن أنفه وعبر جهاد مقدس

شرس . . لعل فصوله الأولى قد بدأت بالتحركات الشعبية فى كل مكان من المحيط الى الخليج . .

تقول الكاتبة السعودية سهيلة حماد ان السعودية ليست فى حالة حرب مع انجلترا وأمريكا الأمر الذى يجيز شرعاً الاستعانة بقواتها . .

هذه بالتحديد هى الطامة الكبرى . . فالوضع الطبيعى ان تكون دولة الجزيرة العربية فى حالة حرب مع الأب الروحى والمادى لاسرائيل التى تحتل القدس وتهدد باحتلال مكة والمدينة وفقاً لخريطة اسرائيل الكبرى . . انها الطامة الكبرى ياسيدتى . . ان السعودية لم تشارك بصورة عسكرية جدية ضد اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . . وبالتالى لم تجد نفسها فى حالة حرب مع أمريكا . . ان أمريكا هى العدو الأول للشعب العربى المسلم بمساندتها المطلقة لاسرائيل ولولا وقوف أمريكا خلف اسرائيل لهزمت شر هزيمة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . ولتم تحرير الجولان والقدس . . وأمريكا هى التى تدعم استمرار احتلال اسرائيل للضفة وغزة وجنوب لبنان . .

إنه كما يقال عذر أقبح من ذنب . . ويأتى من أين ؟ من موطن رسول الله . . البقعة التى انبعثت منها الدعوة الاسلامية . . وكانت موطناً للجهاد . . وأخرجت المجاهدين الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها . . فهل نحن أمام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه (جاء الاسلام غريباً وسيعود غريبا فطوى للغرباء) .

أصبح الجهاد غريباً فى منبت الدعوة . . وأصبح التنكر للجهاد حجة لاستدعاء الأعداء . . الذين أصبحوا أصدقاء . . وذلك رغم ان عدد سكان المملكة يمثل ثلاثة أو أربعة أمثال عدد سكان إسرائيل . . وامكانياتها المادية أضعاف أضعاف ميزانية اسرائيل . . ان عدم وجود حالة حرب بين السعودية . . واسرائيل وأمريكا هو الطامة الكبرى ياسيدتى . .

ولو كانت السعودية وباقى الدول العربية تواصل الجهاد ضد الصهاينة ما كان هناك أى موضع للنزاعات الداخلية بين الدويلات والامارات العربية ،

وبدلاً من أن نفيق من الصدمة لنتجه إلى الحق إذا بنا نلقى بأنفسنا فى أحضان الأعداء (لأننا لسنا فى حالة حرب معهم) !

*****

الاســـتعانة بسلاح الكفار . .

د . عبد الغفار عزيز يعقد مقارنة غير مقبولة حين يقارن بين الموافقة على وجود نصف مليون جندى أمريكى . . وبين شراء الاسلحة من الكفار . . فما وجه المقارنة بين عملية بيع وشراء . . لسلاح يستخدمه جيش مسلم . . وبين استدعاء جيش أمريكى يتبع القيادة الامريكية . . إن هذا ليس استعانة بسلاح انه استعانة بارادة قتالية وسياسية مرتبطة بالمصالح التى يمثلها هذا الجيش الأمريكى . . لا وجه للمقارنة ياسيدى الدكتور بين الحالتين . . والفرق بينهما واضح وضوح الشمس .

ويقول البعض لو انسحب العراق من الكويت ، ثم لم يخرج الامريكان نعلن الجهاد المقدس ضد الامريكيين . . وهذا نوع من خداع النفس . . فهل يثق أصحاب هذا الرأى فى أمريكا . . وهل من المنطقى ان نعطى شرعية للقوات الأجنبية وبعد ان تتمركز فى بلادنا نعلن الجهاد المقدس ضدها . . ان فى هذا قلباً للأمور . . ولو كانوا أمناء مع أنفسهم . . حتى لو كانوا لايثقون فى صدام حسين مثقال ذرة . . فإن الواجب يحتم عليهم المطالبة بالانسحاب المتزامن . . إنها ليست قضية صدام حسين . . والقوات الامريكية جاءت بقرارها هى ـ وبنية البقاء . . وبنية تدمير القوة العربية .

ان الذين اعترضوا على احتلال الكويت لايجب ان يطالبوا الآن بانسحاب عراقى إلا إذا كان متزامنا مع انسحاب القوات الامريكية . . وإلا فإنهم يعطون أفضلية سياسية عسكرية لهذه القوات التى لا تأتمر بأوامرهم ولا بأوامر الحكام العرب .

ليس الأمر كما يقول خالد محمد خالد الذى يكرر الثناء لبوش وجورباتشوف وتاتشر (ان القوات الأجنبية سينهى وجودها لا محالة انهاء الاحتلال العراقى للكويت) من أين أتيت بكل هذه الثقة بالأمريكان . .

وبناء على أى ممارسات سابقة لهم . . وهم يعدون بدفع حركة السلام لتحرير الأرض المحتلة منذ ٢٣ عاماً . . !!

وبعـد ان خط المشيب رأسك مازلت مخدوعاً بالأمريكان . . انها حالة لايرجى لها شفاء . أما الأمريكيون فهم صرحاء ويقولون إننا باقون .

وقد وافقنا فى الرأى الذى نذهب إليه البيان الذى أصدره عدد من العلماء والمفكـرين والمثقفين المسلمين ونشر فى الأهرام بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢١ . . جاء فيه بالحرف . . (انه إذا كانت جريمة احتلال الكويت وتغيير نظامها بالقوة والحاقها بالعراق قسراً هى منكراً شديداً تنبغى مقاومته وتغييره باليد والقلب واللســان فان هذه المقاومة وذلك التغيير ينبغى أن يظل دائماً وأبداً أعـمالاً عربية وإسـلامية خالصة ، لأن موالاة الأجنبى واللجوء الى تدخله وخاصةً إذا كان سجله حافلا بالتنكر السافر لحقوقنا والعدوان المستمر على مصالحنا . والكيل بكيلين مختلفين فى تعامله مع قضايانا وفى مقدمتها قضية فلسطين ، هو لجوء إلى منكر لايقل شراً ولا خطراً وارساء لسابقة من شأنها ان تفتح الأبواب واسعة أمام المزيد من التدخل الأجنبى فى شئوننا ، بما يهدد الأمل فى إقامة نظام عربى مستقل تحركه ارادات عربية ويوجهه الحرص على المصالح العربية .

إننا ننبه إلى أن التدخل الأجنبى فى شئوننا يستهدف ـ أولاً وأخيراً ـ حماية المصـالح الأجنبية ولو أدى ذلك إلى تحطيم قوة كل الشعوب العربية ومنها شعب العراق الشقيق .

وكان فى مقدمة الموقعين على هذا البيان الشيخ محمد الغزالى ود . يوسف القرضــاوى .

الحـكـــــام أدرى بشئوننا !!

مفتى الديار المصرية . . سيد طنطاوى . . لاينفرد بفتوى واحدة لتبرير سياسات الحكم . . وفى هذه المرة يقول . .

(لأولياء الأمـور فى الـدولـة الإسلامية ان يستعينوا بغير المسلمين ، إذ

الضرورات تبيح المحظورات ، كما أنه من المقرر شرعاً ان الضرورة تقدر بقدرها . . والذين يقدرون هذه الضرورة وحدودها ، هم أولو الأمر فى كل أمة ، إذ هم أعرف الناس بما ينفع أمتهم وما يضرهم) .

وهكذا كفى الله العلماء « شر » الافتاء !! فالحكام أدرى ؟! أى حكام هم هؤلاء ياسيدى المفتى . . وما علاقتهم بتطبيق شريعة الله . . حتى تعطى لهم شيكاً على بياض !! ثم لماذا تؤيد ماليس لك به علم ؟! إذا كان الحكام يحترمون حقاً العلماء . . لأخذوا برأيهم قبل اتخاذ أخطر القرارات أو حتى أصغرها . . ولأشركوا العلماء معهم فى تقدير « الضرورات » التى تبيح « المحرمات » . .

وماذا ستقول لله يوم الحساب ؟! ستقول لقد فوضت الحكام ان يقدروا الضرورة . . حقاً إذا كان الحكام العرب يعرضون كل كبيرة وصغيرة على الأمريكان ولا يعرضونها على العلماء . . فكيف للعلماء ان يثقوا بأولى الأمر ؟! ويوالوا اصدار بيانات التأييد لهم .

القوات الأمريكية معاهدة :

ويقول شيخنا الجليل شيخ الأزهر (الذى كانت له وقفة رائعة فى قضية الربا) ان القوات الأمريكية قوات معاهدة ! جاءت لرد العدوان ورفع الظلم ، وهكذا فإن الأزهر الذى تصدى بالكلمة والفتوى والسلاح والمظاهرات والعصيان للغزو البونابرتى . . وصل به الحال فى زمن التردى ان يصف اعداء الأمة بالمعاهدين . . أى الذين يوجد ميثاق بينهم بين المسلمين (بمعنى معاهدة عدم اعتداء بالمصطلحات الحديثة) .

والميثاق أو المعاهدة التى نعرفها هى معاهدة الدفاع الاستراتيجى بين أمريكا واسرائيل . . فهل اختلط الأمر على مشيخة الأزهر فخلطت بين السعودية واسرائيل ؟!

ياشيخنا الجليل يقول الله عز وجل (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) صدق الله العظيم . . فإسرائيل أخرجت

المسلمين من ديارهم . . وظاهرت أمريكا اسرائيل على اخراجهم ويوماً بعد يوم ترتكب المذابح على أعتاب المسجد الأقصى . . ومنذ مدة قصيرة سقط فى لحظة واحدة ٢٣ شهيداً مسلماً وألف جريح فى مذبحة داخل المسجد الأقصى . . وخطة تهويد القدس تسيرُ على قدم وساق بتمويل أمريكى ـ وسلاح أمريكى ـ وبمساندة الفيتو الامريكى فى مجلس الأمن ، متى كانت أمريكا ترد العدوان والظلم ؟! هل يتخلى الأزهر عن مهمة تبصير المسلمين بأعدائهم الحقيقيين ؟!! .

أن أمريكا هى العدو الأول للإسلام . . وهى تقود الحلف الاطلسى الغربى . . وتتحالف مع السوفيت فى محاربة العالم الإسلامى . . وهى التى تعطل أو تحاول تعطيل تطبيق الشريعة الإسلامية فى مختلف البلدان الإسلامية التابعة لها والتى تأكل من معونتها كثمن لهذه المعونة المشينة .

سلاح التكفير :

لم يبق سوى سلاح التكفير . . تكفير حكام العراق . . ووصف صدام بأبرهة الحبشة . . ونحن من المعارضين لفكر حزب البعث العلمانى . . ولكننا نرفض استسهال اللجوء لسلاح التكفير . . لأن التكفير سلاح ذو حدين وينقلب على مستخدميه . . لأن معظم الحكام العرب علمانيون ، ولا يطبقون الشريعة الإسلامية . .

وإذا استخدم « الكبار » سلاح التكفير ـ وقد استخدموه من قبل ضد الإمام الخمينى وحكام ايران . . فلا ينزعجوا بعد ذلك عندما يتحرك بعض الشباب فى مصر وغيرها . . تحت شعار التكفير . . فلا داعى اذن لفتح هذا الباب . . باب الفتنة ، لتبرير استقدام القوات الأجنبية .

كلمات الحق :

وأخيراً فإن كلمات الحق تظهر وسط تصريحات التأييد . . يقول الشيخ الشعراوى فى أخبار اليوم ١٨/٨/١٩٩٠ . .

(إننا تركنا الأمور تتداعى وتتدنّى الى نقطة تدخل عندها الأجنبى . . واعتمدنا على قانون المنظمات الدولية حيث ارتضى كل طرف ان يعيش فى

كنف القوانين الوضعية بعيداً عن قانون السماء ، ولو نجح المسلمون وأخلصوا دينهم لله فى جلسة القمة الطارئة التى عقدت بالقاهرة . . ما تدخل الأجنبى) . .

وهنا نجد الاتهام عاماً لمختلف الاطراف التى ارتضت القوانين الوضعية . . وتحمل مختلف الأطراف مسئولية مجىء الأجنبى .

اننا حقاً أمام أخطر غزوة صليبية فى تاريخ الإسلام . . وليس هذا محاولة للتقليل من أهمية مشكلة الكويت . . إننا أمام حملة تستهدف السيطرة على مقدراتنا من المحيط إلى الخليج وتحصل على شرعية من عدد من الدول العربية والإسلامية . . . وان الجهاد المقدس أصبح فرض عين . . على كل مسلمة ومسلمة . . لتحرير أمتنا الإسلامية من الغزاة الصهاينة فى فلسطين . . والأمريكان فى جزيرة العرب والخليج . . أما أوضاعنا الداخلية كعرب وكمسلمين فهو شأننا الخاص . . ونتمنى فى خضم الجهاد ان نتجاوز خلافات الحدود . . والحقوق القومية التاريخية . . إلى توحيد الأمة الاسلامية فى دولة واحدة بإذن الله . .

* * * * *

ويبقى بعد ذلك ان ننتقل الى مهمة رد العدوان عن السيرة النبوية الشريفة . . والذى تمثل فى تشويه السيرة . . وتقديم انتصار الدعوة الاسلامية على انه تم بمناصرة المشركين . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * * * *

هل تقرّ السـيرة النبويـة
الاستعانة بالمشـركين ضد المسلمين ؟!!

لم يجد علماء السلطان فى الدستور القرآنى . . أى آية كريمة أو ظل أية . . يشير إلى جواز الاستعانة بالمشركين . . فلجأوا للافتئات على السيرة النبوية الشريفة . . وعلى أحكام السنة المكرمة . . ليجدوا فيها بعض الأمثلة . . أو الروايات يؤولونها بما يخدم قرارات البيت الأبيض الأمريكى وبعض الحكام العرب . والمغالطة الجوهرية ان كل ما اعتصرته ذاكرتهم من روايات لاتتعلق بالاستعانة بمشركين ضد مسلمين . . ولكنها استعانة لمصلحة المسلمين عامة أو فى جهادهم ضد مشركين آخرين لنشر الدعوة . . وبالطبع لن نجد فى السيرة النبوية الشريفة أى حرب ضد مسلمين !!! ويا أسفاه على من باع علمه للسلطان أو للبترو دولار . .

وقبل أن نورد الأمثلة التى احتجوا بها من السنة النبوية الشريفة نبدأ بعدد من الضوابط . . التى يجب ان تحكم تفكيرنا . .

ان قضية الاستعانة بمشرك مسألة عامة ولا يجب ان تطلق على عواهنها وإنما تتم - إن هى جرت وفقاً للسنة الشريفة بناء على عدد من الضوابط . .

١ ــ استعانة محدودة . . فى مهمة عملية . . قائمة على أساس المصلحة . . أو بأسلوب الاستئجار .

٢ ــ تتم على أساس السيطرة الكاملة للطرف المسلم وبما لايتعارض مع مصلحة الاسلام والمسلمين ،

٣ ــ التفرقة الواضحة والقاطعة بين غير المسلمين الذين يعيشون فى مجتمع الاسلام ويرتضونه ولا يحاربونه ويكتسبون بذلك حق المواطنة . . وبين غير المسلمين فى دار الحرب :

فبالنسبة لهؤلاء الأخيرين فإن ضوابط الاستعانة أشد وأقسى .. وهى لا تخرج عن حالتين ..

١ ــ حالة الاستعانة الفردية (على طريقة الاستعانة بخبير أجنبى للضرورة وبقدر هذه الضرورة) .

٢ ــ حالة عقد ميثاق مع أى قوم من غير المسلمين (معاهدة عدم اعتداء) وهى أقرب إلى الحالة السلبية وان تضمنت أحيانا المساهمة فى القتال ضد جماعة أخرى من المشركين . ولنبدأ باكتشاف ان ما ورد فى السنة النبوية الشريفة كان منضبطاً بكل هذه القواعد . ولنتأكد من الظلم المتمثل فى الاستعانة ببعض روايات السيرة لتبرير الاجتياح الأمريكى والغربى لأرض المقدسات . وسنكتفى ببعض الأمثلة القليلة ..

الهجــــرة إلى الحبشــــــة :

من المؤسف ان تتم مقارنة بين الاجتياح الأمريكى بنصف مليون جندى للأراضى العربية .. بلجوء عشرات من المسلمين الى النجاشى ملك الحبشة .

ماهو وجه المقارنة بين النجاشى وبوش ؟! وما هو وجه المقارنة بين قدوم قوات مسلحة تتحكم فى مصائر المسلمين ، وبين لجوء سياسى عند ملك نصرانى عادل ! اتقوا الله .... يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو خرجتم إلى أرض الحبشة إن بها ملكاً لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه) .

وعندما سمع النجاشى لآيات القرآن من المهاجرين إليه بكى حتى اخضلّت (ابتلت) لحيته وبكت أساقفته ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وفيما بعد ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم موت النجاشى صلى عليه واستغفر له . ولا ندرى ماهو وجه المقارنة بين حكم النجاشى .. وحكم بوش ، بين من يحمى المسلمين المهاجرين ويرفض تسليمهم للمشركين ..

وبـين السلطة التى تحارب الاسـلام فى عقر داره . . ماهذا الافتئات على السنة . . والسيرة العطرة . . ما هذه الاستهانة ؟! وما هذا البيع الرخيص لجواهر السنة مقابل الحياة الدنيا ؟!!!

وما علاقة هذا المثال بالاستعانة بأكبر قوة مسلحة أمريكية ضد فريق من المسلمـين فى القرن العشرين . . قوة تعمل تحت قيادة مادية تأتى لتحقيق مصالحها . . ولا تعمل تحت إمرة من يدعون انهم استدعوهم .

توجه الرسول إلى أهل الطـــائف :

ومما يؤسف له إشارة علماء السلطة إلى توجه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أهل الطائف المشركين كى يستجير بهم من مشركى مكة . . ومرة أخرى نفس التزييف ولوى عنق الحقائق . . فالرسول عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أهل الطائف كى يدعوهم للاسلام وبالتالى يحتمى ويتقوى بهم من جراء ذلك . . أى من جراء تحولهم إلى الإسلام . .

ولم يلجأ إليهم كمشركين طالباً منهم الأمان !

جاء فى سيرة أبى هشـــام :

خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ورجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل . واجتمع مع سادة ثقيف وأشرافها فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام .

فلقى الرسول منهم ما كره فقال دعاءه الشهير :

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى . . . .) .

وكان سادة ثقيف قد أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمـع النـاس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة . . الخ

وهكـذا فلم تكن استعانة ولكن دعوة إلى سبيل الله . . والقوم صدوا عن سبيل الله . . فما وجه المقارنة رحمكم الله ؟!

مطعم بن عدى يجيــــر الرسول :

وما وجه المقارنة بين دخول الرسول عليه الصلاة والسلام فى جيرة مطعم بن عدى المشرك حماية له من مشركى مكة وبين اجتياح مئات الألوف من قوات المشركـين لأرض نجـد والحجـاز . . ما الـذى جرى لشيخنا متولى الشعراوى حتى يورد هذا المثال ؟!

والحقيقة إن إجارة مطعم بن عدى لم تصلح كقاعدة لانتشار الدعوة ، فما هى إلا أيام . . وأذن الله للرسول بالهجرة من مكة بأسرها (البداية والنهاية - ابن كثير) .

نحن أمام استعانة محدودة بمشرك لايحارب الاسلام ولا شخص الرسول ضد مشركـين آخـرين يحاربـون الإسـلام وشخص الـرسول عليه الصلاة والسلام . . وقد استمر هذا لبضعة أيام .

لقد تعلمنا فى الفقه ان للقياس أصولاً . . تقوم على التشابه والتماثل فى الوقائع . . التماثل - مثلاً - بين واقعة حدثت فى عهد الرسول وتصرف فيها أو حكم بحكم معين . . وبين واقعة مستجدة تندرج تحت نفس النوع . . فأين التماثل بين هاتين الواقعتين ؟!

الاســــتعانة بدليل مشـــرك :

ونفس الشىء ينـطبق على مثال استعانة الرسول بدليل مشرك فى رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة . فهنا نجد نوعاً من الاستئجار لمشرك واحد فى مهمـة محددة ومؤقتة . وهذا قد يساعدنا فى أن نحل الاستعانة بمشرك فى البحث عن البترول . . أو غيرها من المهام العملية التى تحتاج لخبير لايوجد مثيله بين المسلمين . . وهو استئجار فى مهمة عملية تحت السيطرة لاضرر منها على الاسلام فى شىء بل فيه كل الفائدة .

صحيفة المدينـــــــة :

وهكذا نجد الاستنادات متهافتة من زاوية صلتها بالذى يجرى الآن على أرض الجزيرة العربية ومع ذلك نواصل .

صحيفة المدينة مع اليهود ، بمثابة دستور لدولة المدينة . . وهو دستور رائع من زاوية تحديد المواطنة فى الدولة الاسلامية . . فى مجال المساواة فى الحقوق المدنية والالتزامات الامنية والدفاعية للرعايا اليهود داخل المدينة . وقد ظل الرسول على عهده معهم حتى نكثوا هم العهد فكان طرد القبائل اليهودية تباعاً من المدينة حتى تطهرت منهم .

وبـالتالى فنحن ازاء قضية أخرى غير الاستعانة برعايا بل جيوش دولة أجنبية معادية ، وينطبق نفس الشىء على التحالفات التى أقامها الرسول (ﷺ) ومن بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع بعض القبائل النصرانية التى ارتضت المشـاركـة فى قتـال مشركى مكة أو الفرس أو الرومان . مع ملاحظة انها كانت تحالفات اضافية للقلب الرئيسى من جيش المسلمين . . ولم يكن المسلمون كمالة عدد أو غطاء كما هو الحال الآن فى جزيرة العرب . . ومرة أخرى (وربما للمرة العاشرة) نؤكد انها كانت بمثابة توسيع للتحالف بمعاهدات مع بعض القبائل تحت السيطرة وضد المشركين . . لاضد المسلمين !!

ولـذلك كانت هذه الاستعانة فى مراحل متقدمة من الدعوة بعد ان تم تأليف جيش كبير من المسلمين المجاهدين . وبالتالى فإن المعارك الأولى لم تشهد مشاركة أى واحد من غير المسلمين . . ونقصد بذلك غزوتى بدر وأحـد .

نقرأ فى صحيح مســـلم الباب التالى . .

[كراهة الاستعانة فى الغزو بكافـر] . .

(. . . عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة (موضع على نحو أربعة أميال من المدينة) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاتبعك وأصيب معك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك قالت ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة ادركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة قال فارجع فلن استعين بمشرك قال ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق) .

وننتقل بعد ذلك إلى كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى لنقرأ فيه هذا الباب :

[باب الاستعانة بأهل الشــرك] . .

(ولا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك (لاحظ) على أهل الشرك إذا كان حكم الاسلام هو الظاهر عليهما) .

أى إننا أمام شرطين مترابطين غير متحققين فى حالتنا (مأساتنا المعاصرة) . .

الأول : الاستعانة ضد أهل شرك آخرين . .

الثـانى : ان يتم ذلك تحت السيطرة التامة والكاملة للمسلمين بحيث لاينقلب الأمر عليهم . وتفقد الاستعانة مغزاها وهدفها .

(فقد استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم بيهود بنى قينقـاع على بنى قريظة ، وخرج صفوان وهو مشرك مع رسول الله فى غزوتى حنين والطائف) .

ولكننا نلاحظ مرة أخرى ان غزوتى بدر وأحد لم يسمح فيهما الرسول عليه الصلاة والسلام بأى مشاركة من غير المؤمنين . وقد أشرنا إلى غزوة بدر من قبل . . أما فى يوم أحد . . فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى كتيبة حسناء قال : من هؤلاء ؟ فقيل : يهود بنى فلان ، حلفاء ابن أبى فقال : « إنا لا نستعين بمن ليس على ديننا » .

وروى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، رده (أى ابن أبى) حين عرض عليه ان يخرج فيقاتل معه فقال : لا ، إنا لانستعين بمشرك . وإنما كره ذلك لأنه كان معه سبعمائة من يهود بنى قينقاع من حلفائه ، فخشى أن يكونوا على المسلمين إن أحسوا بهم زلة قدم ، فلهذا ردهم .

وهكذا فإن الاستعانة الجزئية والمحدودة لم تحدث إلا بعد انشاء القلب الاساسى من جيش المجاهدين المسلمين . . وهى نوع من التحالفات التى تضيف بعض القوة المادية . . أو تحيدها . . وهى من الدروس السياسية الفنية للسيرة النبوية الشريفة التى أعطتنا دروساً لانتشار الدعوة وانتصارها بقوانين الصراع السياسى والاجتماعى التى سنها الله للبشر (من طبيعتهم التى فطرهم عليها) ، دون أن تعتمد على المعجزات غير القابلة للتحليل وأخذ الدروس والعظات للمستقبل .

ومرة أخرى هى استعانة بمشرك ضد مشرك ! وتحت السيطرة الكاملة السياسية والعسكرية والغلبة العددية للمسلمين . ومما يؤسف له ان يتم تغييب عقل المسلمين بتجاهل هذه المقارنة الأمينة فينقل « علماء » دين مثال صفوان وهو شخص واحد لتبرير الاستعانة بنصف مليون جندى أمريكى (استحيوا من الله ان لم تستحيوا من البشر) ! ويتم التغاضى عن غرض الاستعانة ضد من ؟ مسلمين أم مشركين ؟ وكأن هذا من التفاصيل التى يمكن اسقاطها . . كيف نأمنكم على شرح القرآن والسنة بعد ذلك ؟!

دار الاسلام . . دار الحرب . . دار العهد . .

فى زمن التبعية وسقوط دولة الخلافة الإسلامية اختلطت المفاهيم . . وأصرّ « علماء » (السلطان) على اصدار الفتاوى والآراء وفقاً للأمر الواقع . . الذى ضاعت فيه الحدود بين العوالم الثلاثة التى حددها القرآن . . وسار على دربها الفقه الاسلامى العظيم . . فحدود العالم الاسلامى لم تعد معروفة . . وهو بدون سلطة شرعية أو دولة . . وقد تمزق إلى أجزاء تمّ ضمها إلى دول أخرى كالجمهوريات الآسيوية التابعة الآن للاتحاد السوفيتى . وإلى أجزاء أخرى أخذت شكل الدول الشاحبة الممزقة

(حوالى ٤٠ دولة) يتبع أغلبها مراكز السلطة فى معسكر الافرنج (الغرب الاستعمارى) فى إطار من التبعية الجديدة . .

ومع غياب الهوية أو الأصل (دار الاسلام) لم يعد بالامكان تحديد دار العهد . . ولا دار الحرب واختلط الحابل بالنابل . . بل قد أصبح لبعض الاقليات المسلمة حقوق فى ممارسة الدعوة وانشاء الاحزاب الاسلامية (انجلترا ـ أسبانيا ـ الاتحاد السوفيتى) ، وهى حقوق لم تستطع بعد ان تنتزعها الاغلبيات الاسلامية فى موطن الاسلام الأصلى حيث مازالت الأحزاب الاسلامية محرمة . . وكثير من حقوق وحرية نشر الدعوة الاسلامية مقيدة .

ومن واجب العلماء ان يواجهوا هذا الاختلاط . . وان يدفعوا فى اتجاه الحق . . وهو اعادة الاعتبار للهوية الاسلامية ، ولاستعادة دولة الخلافة الاسلامية . . وربط آرائهم وفتواهم . . بهذا الواجب أو الفريضة الاساسية لكل مسلم حسن الاسلام . . يفهم دينه . . ويفهم غايته .

ولاستجلاء هذه المعانى الاساسية حول (دار الحرب . . والاسلام والعهد) نعود للدراسة القيمة لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله (العلاقات الدولية فى الإسلام) لنقرأ فيها :

دار الإســـــلام :

هى الدولة التى يحكمها سلطان المسلمين ، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين ، وهذه الدار يجب على المسلمين الذود عنها ، والجهاد دونها فرض كفاية إذا لم يدخل العدو الديار ، فإن دخل ، كان الجهاد فرض عين عليهم ، كل بمقدار طاقته ، وكل دولة تكون الأكثرية فيها مسلمين تعتبر دار إسلام ، ولو غلب عليها غير مسلم (كما يحدث فى بعض البلاد الافريقية) .

دار الحــــرب :

ان دار الحرب هى الدار التى لايكون فيها السلطان والمنعة للحاكم

المسلم ولا يكون بينهم وبين المسلمين عهد يحدد العلاقة بينهم وبينهم ، ويؤمن فيه الاعتداء على المسلمين . إلا أن بعض الفقهاء يضيف إلى ذلك ضرورة قيام هذه الديار بمحاربة المسلمين حرباً صريحة حتى تستحق ان تسمى دار حرب .

ويلاحظ ان دار المحاربين فعلاً دار حرب بإجماع الفقهاء .

دار العهـــــد :

ويقصد بها القبائل والدول التى لاتخضع للمسلمين . . ولكنها لاتعاديهم . . ويتم ترتيب نوع من العهد والميثاق بينها وبين المسلمين (أو ما نسميه فى العصر الحديث معاهدة عدم اعتداء) ولذلك فهى تسمى أيضاً دار موادعة . . ويمكن ان تتجاوز معاهدة عدم الاعتداء إلى (اتفاقيات تجارية واقتصادية) كما حدث فى عهد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) من صلح مع أهل النوبة .

والبحوث الفقهية فى هذا المجال واسعة وكثيرة وقد كانت لنا دولة يحرص فقهاؤها (أو القانونيون والدستوريون بلغة العصر) على تحديد علاقاتها بالعالم الخارجى . . أما الآن وقد أصاب أمتنا ما أصابها فلم نعد نسمع بتلك البحوث والاهتمامات . .

وما يهمنا فى هذا المجال إذا كانت بلادنا هى دار الاسلام باعتبار أنها تقطنها أغلبية ساحقة إسلامية (وبغض النظر عن رفضنا للأطر القانونية والسياسية والدستورية المستوردة التى مازالت تحكمنا) فهل يصعب على انسان مخلص لدينه ان يحدد موقع الولايات المتحدة من هذه العوالم الثلاث . . وهل يمكن ان تخرج عن عالم الحرب .

فى أحد اللقاءات رد علىّ أحد الأخوة معتبراً أن الحاكم العربى قد عقد اتفاقاً مع الولايات المتحدة وبالتالى أصبحت دولة عهد وميثاق . . وهذا نوع (والعياذ بالله) من خداع الله سبحانه وتعالى . . وتحريف الكلم عن مواضعه وهم « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم » .

إن أهل الميثاق لن يحددهم مزاج أى حاكم . . فإذا أصابت الخيانة أو الانتهازية أحد الحكام وعقد معاهدات مع الاسرائيليين أو الأمريكيين . . فهم لن يتحولوا بقدرة قادر وهم يعتدون على مقدسات المسلمين ويحتلون فلسطين بالمشاركة المالية والعسكرية الكاملة ـ لن يتحولوا إلى أهل ميثاق . . وإنما يتحول الحاكم الذى يفعل ذلك إلى مجرد ملحق بأعداء المسلمين .

فالمعيار القرآنى هو الفيصل وليس رغبات الحكام الذين خانوا الأمانة . . (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) هل اعتزلتنا أمريكا وكفت عن دعم أسوأ استعمار فى التاريخ الإسلامى كله . . أى الاستعمار الصهيونى الاستيطانى لفلسطين ولبيت المقدس ؟!

وهل استقاموا لنا . . حتى نستقيم لهم ؟!

وبوسعى أن أكتب المجلدات بل هى مكتوبة بالفعل بالمئات والآلاف حول الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط والصراع العربى ـ الاسرائيلى . . وعلى مدار كل العالم الاسلامى . ولاداعى إذن للاستفاضة هنا فى هذا المجال . . ولكن يكفى أن أشير بصورة عابرة إلى المساعدة العسكرية الامريكية الحاسمة التى ساعدت اسرائيل على إنتاج الأسلحة النووية . . والصواريخ الحديثة . . وإذا لم تكن تلك هى المحاربة . . فبماذا تسمونها ؟!

الحقيقة أننا لسنا أمام مشكلة حقائق غائبة . . بقدر مانحن أمام ضمائر غائبة !!

* * * * *

مرة أخرى العراق . . والكويت :

وبعد هذه السياحة بين دفتى القرآن والسنة وآراء الفقهاء . . نعود مرة أخرى الى العراق والكويت . .

هل أوردنا كل ما أوردناه . . دفاعاً عن النظام الحاكم فى العراق ؟! وضد الكويت المجنى عليها ؟ بالطبع لا . .

نحن نريد ان نستحضر المبادىء والقيم الاسلامية لنحاكم بها الأوضاع كلها . . لاكى ننتقى ما ندعم به وجهة نظر مسبقة لخدمة هذا الحاكم أو ذاك . . فهذا بالتحديد مادفعنى لكتابة هذه الرسالة . . عندما وجدت بعض « العلماء » يتحولون إلى خدم للسلطان . . وللطاغوت . .

لو طبقنا مبادىء الاسلام على الاحداث . . يجب ان نلاحظ مايلى :

١ ـ ان الخطر القياسى الأكبر هو العدوان الامريكى والغربى . . بل والاحتلال العسكرى للسعودية وبلاد الخليج . . إنه الخطر الأكبر على كيان الأمة العربية الاسلامية ، وأكبر ضربة وإهانة . . وأكبر تهديد للمقدسات التى تعبر عن كيان الأمة وشخصيتها .

٢ ـ ان الاحتلال العراقى للكويت الذى فجر هذه الأزمة . . هو خلاف داخلى عربى ـ عربى . . اسلامى ـ اسلامى . . لايجوز شرعاً إلا أن يحل داخل الاطار العربى الاسلامى .

٣ ـ ان تلمظ الغرب وأمريكا على بترولنا ، لايعطى لهم أى شرعية فى تحركهم هذا . . ولايجب أن يكون هذا مبرراً لحكامنا . . كى يخضعوا لهم . . لانهم بذلك يحكمون على الأمة بالتبعية الأبدية . . طالما ان البترول من حق أمريكا والغرب بصورة مطلقة . . وما نحن إلا عبيدهم . . وممرهم للحصول على البترول وإننا بلا نخوة أو رجولة . . أو كرامة . . أو عقيدة . . أو حتى احترام للذات .

٤ ـ ان محاكمة النظام العراقى بالمعايير الاسلامية . . يجب ان تجرى معها بنفس القدر محاكمة للنظام الكويتى . . أولاً . . ثم محاكمة للأنظمة العربية بأسرها ثانيا . . فنحن لانقبل من شيخ مصرى يتحدث عن تطبيق الشريعة فى العراق . . ولا يتحدث عن تطبيقها فى مصر. وكذلك الأمر من المحيط إلى الخليج .

وإذا كانت لديكم الجرأة ان تحاكموا الأوضاع العربية من المنظور الاسلامى . . فلنفتح الملفات كلها من المحيط إلى الخليج . أما السير فى

ركاب بوش وتاتشر وتحويل النظام العراقى إلى شيطان ننسب إليه كل المآسى العربية . . وتحويله إلى الخطر الرئيسى بل والأوحد . . إنما هو اعطاء شهادة تبرئة للعدوان الصهيونى على فلسطين الذى لم يتحرك ضده جندى عربى واحد فى دول الجبهة منذ حرب ١٩٧٣ حتى الآن ١٩٩٠ والحقيقة انها ليست شهادة براءة . . انها تحالف عسكرى صريح ومشين مع اسرائيل من خلال القاسم المشترك (أمريكا) ! .

إن النظام العراقى - ككل الأنظمة العربية - نظام علمانى يقوم على فصل الدين عن الدولة . . وهو نظام لايطبق الشورى . . ولا يلتزم بسائر أحكام الشريعة الاسلامية كباقى الأنظمة العربية . . وقد حارب لسنوات ايران المسلمة . . ولكن بالتعاون والتأييد المطلق من كل الحلف الذى تكون الآن تحت قيادة أمريكا . .

وهو نظام لايحتمل الرأى الآخر . . وكذلك معظم الأنظمة العربية . . وهكذا فإن كل ما نأخذه على النظام العراقى - من وجهة نظر اسلامية - نأخذه على باقى الانظمة العربية . .

ولكن ماذا عن احتلال الكويت ؟ وما ارتكبه الجيش العراقى فيها ؟!

لقد وفر علىّ كثيراً من الجهد ان كتابة هذه الرسالة استغرقت بعض الوقت . . اتضح خلاله ان « الفظائع » التى روجت لها وسائل الاعلام المصرية . . والغربية . . تنتمى فى معظمها إلى الأكاذيب حتى اننى قرأت للشيخ إسماعيل الشطبى من رجال الدين الكويتيين حديثاً فى مجلة المسلمون (السعودية) ينفى فيه مطلقاً حكاية (الاغتصاب) ! وقد نُشر الكثير مما أدى إلى انقشاع الضباب حول الحقائق . . وعاد كثير من المصريين إلى الكويت . . بعضهم استقر . . وبعضهم حمل كل ممتلكاته وعاد بلا مشاكل خطيرة .

وقد كنت أقول دائماً ان ماينشر هو من المبالغات ، لأنه لايوجد داعى لارتكاب الكثير من أعمال العنف . . لانه لاتوجد مقاومة حقيقية . . بل ان

معظم الكويتيين كانوا خارج الكويت ساعة الغزو . . أو غادروا بعده مباشرة . .

وأنا لا أقول ان ضم الكويت كان نزهة . . ولكن لاشك ان الضمّ انتهى خلال ساعات . . . ولم يجر خلاله ما يمكن أن يوصف بالمعارك . . . وأن انحرافات بعض الجنود يُحاسَبون عليها وهي مدانة ، ولا يمكن أن تُنسب إلى أوامر رسمية ، فمن المعروف أن أيّ قوة غازية من مصلحتها أن يستتب الأمن وبالتالى فإن لايمكن أن توجد أى تعليمات رسمية فى الجيش العراقى أو فى أىّ جيش فى العالم يحتلّ بلداً آخر تدعو إلى السرقة أو الاغتصاب أو القتل بدون مقاومة .

ان المسئولية التى تقع على كاهل القيادة العراقية الرسمية هى بالاساس قرار الضم ذاته . . لأن تحرك الجيوش . . ليس نزهة . . ولابد أن تنشأ عنه آلام . . باعتباره عملاً من أعمال العنف . .

فلابد للمناقشة أن تكون على المستوى السياسى . . (شرعية قرار الضم ذاته) ، وبالتالى ما يستتبعه من آلام . . (تشريد ـ قتل ـ ارتباك أقتصادى . . . الخ) ، لأن الوقائع الثابتة كالاستيلاء على البنوك . . ومخازن التموين . . الخ هى وقائع مشتقة من عملية الاحتلال والضم وبالتالى لايمكن مناقشتها على صعيد السرقة . . لان هذا مجرد نوع من السباب . . لا يناقش المشكلة عند مستواها الحقيقى . . والشرعى (اقتتال المؤمنين) وقد شرحنا ذلك من قبل . . ان مناقشة كامل سلوك النظام العراقى . . لابد أن تكون مرتبطة بسلوك النظام الكويتى . . وهو بدوره غير ملتزم بالشريعة . . ولا يعترف بالشورى . . ويضيف الى ذلك انه نظام كان قائماً على الربا . . ويضع كل ثروات المسلمين فى بنوك اليهود الربوية . . وانه تعامل مع المسلمين غير الكويتيين بصورة متعجرفة عنصرية لاتمت الى الاسلام بصلة . . وانه نظام قام بتمويل كل أنظمة الغرب ، وقام بانعاش اقتصادياتها ـ بما فى ذلك الدول الشيوعية . . ولم يلتفت إلا بالفُتَات للشعوب الإسلامية . . بما فيها بعض المواطنين الكويتيين الذين كانوا يعيشون فى

المساكن الشعبية . وانه كان من أكبر المحرضين لضرب الثورة الإسلامية فى ايران .

اقترح قراءة كتاب قيام وسقوط امبراطورية النفط للاستاذ / جلال كشك وبه فصل كامل بعنوان (حتى أنت ياكوويت ؟!) رغم ان الاستاذ كشك يبدو انه تنكر لكتابه الصادر عام ٨٦ بعد اندلاع أزمة الخليج لأسباب لانعرفها بالطبع ؟ . . .

وفى الأزمة الآخيرة . . وباعترافات الرئيس مبارك فإن الكويت يتحمل مسئولية بالفعل فى الاضرار بمصالح العراق الحيوية ولسنا هنا فى مجال التقييم الشامل ولسنا قضاة للنظامين العراقى - والكويتى . . ونحن نسأل الله ان يجعلنا فى عداد الجنود المجاهدين باخلاص من أجل رفع راية الإسلام .

وإنما فقط نشير إلى مجرد عناوين للتذكرة . . والتى تجعلنا من وجهة نظر اسلامية لاننحاز لطرف على طول الخط ضد طرف . . فهذا هو الموقف الأمريكى لا الموقف الإسلامى فى هذه الأزمة . وقد أشرنا فى بداية الدراسة الى أهمية الصلح . . وان قوام الصلح هو ما تتفق عليه الأطراف المعنية ، ونؤكد هنا ان الولايات المتحدة هى التى تحول دون توفير شروط هذا الصلح . .

فعندما - على سبيل المثال - يستجيب وزير الدفاع السعودى . . ليعلن امكانية توفير منفذ للعراق على الخليج باعتبار ذلك تنازلاً بين الأشقاء (الكويت - العراق) يرد عليه - وبدون أى مراعاة للبروتوكول - سفير السعودية فى الولايات المتحدة لينفى كلامه . . ثم يعقب ذلك تصعيد للهجة الحرب من جديد من بوش واتباعه .

وهذا يوضح انه بدون تدخلات مغرضة من أعدائنا فإن أى شىء . . وكل شىء ممكن تسويته فى الإطار العربى .

الموقف من النظام العراقى يختلف بعد الغزو الأجنبى :

ان موقف الحركة الإسلامية كان متحفظاً من النظام العراقى بل ومختلفاً ومتصادماً مع ايديولوجية حزب البعث العلمانية . . ولاشك ان الحرب مع

ايران أضافت أبعاداً جديدة الى ذلك وقد اعتبرنا ان العراق مسئول عن بداية هذه الحرب . . ولكن للانصاف لابد ان نؤكد ان ايران قد ساهمت فى إطالة أمد الحرب فى السنوات الثلاثة أو الأربع الأخيرة برفضها وقف اطلاق النار رغم استعادة معظم الاراضى الايرانية . . وقد فتح شهيّتها احتلال شبه جزيرة الفاو . . وربطت القيادة الإيرانية بين انهاء الحرب وتغيير النظام العراقى .

مع انتهاء هذه الحرب عام ١٩٨٨ . . واصل العراق اهتمامه بتطوير قدراته العسكرية . وهذا مايجب ان يحظى بتأييد كل المسلمين . . فلأول مرة أصبحت هناك قوة صاروخية وكيماوية توازن مالدى اسرائيل من صواريخ وقنابل ذرية . .

والمتابع للدراسات الاسرائيلية يلاحظ ان اسرائيل كانت أكثر الأطراف فى العالم قلقاً من تطوير القدرات العسكرية العراقية . .

هذه القوة العسكرية العراقية المتنامية هى رصيد للمسلمين . . بلا أدنى شك . . ولابد أن تحسب فى رصيد النظام العراقى فى الأعوام ١٩٨٨ - ١٩٩٠ ، وقد فهم الغرب خطورة ذلك وبدأت حملة مقاطعة للعراق عام ١٩٨٩ لمنع وصول التكنولوجيا المتطورة إليه . . ثم بدأت محاصرته ماليا بتخفيض أسعار البترول . . ودفع دائنيه للمطالبة بأموالهم (كالكويت) لتجفيف مصادره المالية .

والعراق كان على وشك اعادة تشغيل المفاعل النووى بصورة تمكنه من إنتاج القنابل النووية . . ونذكر قصة القنبلة النووية الإسلامية فى باكستان . . وكيف كان ولايزال المسلمون فى كل العالم يتابعونها بشغف وبغض النظر عن طبيعة الحكم فى باكستان !

وهذه هى النظرة الاستراتيجية التى يجب ان يتعلمها المسلمون وعلماء المسلمين فى مقدمتهم فعندما يكون الصراع بين المسلمين والغرب . . لابد من الانحياز للمسلمين . . ولابد ان تتراجع الى الوراء صراعاتنا الداخلية . . أو يتم تأجيلها وترحيلها . . هذا مايفعله أعداؤنا معنا فهم فى

مواجهتنا كتلة واحدة . أما نحن فبسبب تبعيتنا . . فإننا نواصل الانقسام بيننا العدو على الأبواب . .

ان الموقف من النظام العراقى يختلف عندما تكون المواجهة بين العراق وقوى الشر العالمية . . التى أتت لتصفية حساباتها مع قوة المسلمين (العراق - ايران) ، وهنا لايمكن أن أقف مع قوى الشر . . بل لايمكن أن أقف على الحياد . . وليس هذا بالموقف الجديد . . فالحركة الاسلامية لم تكن على الحياد فى عدوان ١٩٥٦ رغم خلافها مع النظام الناصرى . . والحركة الإسلامية وقفت مع الأنظمة المصرية والاردنية والسورية . . ضد العدوان الصهيونى ومع ليبيا ضد العدوان الأمريكى . . وهكذا . .

ولو عدنا إلى التاريخ الإسلامى كله . . لوجدناه على هذا المنوال . . . فالمحكومون لم يكونوا راضين عن حكامهم . . ولكن مع غزوات الفرنجة (التى اشتهرت باسم الحملات الصليبية) وقفت الشعوب الإسلامية وأفتى علماء الأزهر بالقتال مع الحكام المسلمين ضد الكفار والغزاة . .

وبالتالى نحن لانقول بدعة . . ولكننا ندعو إلى موقف هو امتداد طبيعى للموقف الإسلامى الصحيح من أى غزو خارجى . . وعندما نصد الغزاة عن أبواب بلادنا . . يمكننا ان نرتب أوضاعنا الداخلية ونقيم اعوجاجها بناء على مرجعنا الأساس أو الوحيد فى التقويم (شريعة الله) .

وبالنسبة لحالتنا المعاصرة فإن شعب كل قطر إسلامى هو المنوط به - من حيث الاساس - تقويم اعوجاج حكامه . . أما الحملات الإعلامية الرّخيصة والهابطة والمسفة فليست إلا وسيلة للحكام لتصفية الحسابات مع بعضهم البعض دون ان تجدينا فتيلا فى الاتجاه الصحيح .

الانقسام بين الإسلامية والعلمانية :

ان الملمات الكبرى تكشف ان انقسام الأمة وتمزقها بين العروبة والإسلام . . أو بين تيار العلمانية والتيار الإسلامى . . هو انقسام ظاهرى ومستورد . . وتعبير عن الاختراق الفكرى لعقل الأمة ، فعند كل خطر

حقيقى . . يدرك الجميع اننـا أمـة واحـدة لها مصالح واحدة . . وأعداء مشتركون ، ولا نقول ذلك من موقف الحياد . . وإنما من موقف الانحياز الكامل للحل الإسلامى . .

وإنما أشير الى وقوعنا فى المصيدة الاستعمارية . . وان نتحول الى أمتين فى أمة واحدة . . أى أمة منقسمة على نفسها . . ولو تمكنا من إيجاد لغة مناسبة للتخاطب . . ولو ركزنا على تحديات الحاضر والمستقبل عوضاً عن مرارات المـاضى . . فستعـود الأمة للانصهار فى بوتقة واحدة ، ولو خضنا معاركنا الحقيقية . . بدلاً من الحروب الأهلية الكلامية . . فسيدرك العروبى ان لامعنى لعـروبتـه بدون الإسـلام . . وسيدرك التيار الإسـلامى . . ان العروبيين ركزوا على بعض القضايا الوطنية الحقيقية ، وان العلمانية قشرة مستـوردة وهشـة ستـذوب فى أتون المعارك ، ولعل مايجرى على الساحتين الفلسطينية والاردنية يقدم لنا نموذجاً مشرقاً ورائداً فى هذا المجال . . أى التحام التيارات الإسـلامية والوطنية ضد الصّهاينة . . وان العلمانى (فى أغلب الأحيان) ليس إلا إنسانا مسلماً تأثر بالفكر الغربى . . ولأن الفكر الغربى قد فقد بريقه أوكاد . . فإن التحوّل التاريخى جارٍ على قدم وساق فى عقول مثقفى الأمة . . فهاهى الشيوعية تتبدد أثراً بعد عين . . أما الحضارة الـرأسـمالية فقد شاخت منذ زمن . . وعليها كل آثار الشيخوخة . . مهما حاولت مظاهـر القـوة العسكـرية والتكنولوجيا ان تغطى لحين على مظاهر الانهيار الروحى والاجتماعى والاقتصادى فى أعمق أعماقها . .

وبالتالى فإن كل الظروف مهيّأة لهزيمة الاختراق الفكرى لأمتنا . . هزيمة ساحقة . والوجه الآخر للعملة . . ان كل الظروف مهيّأة لتوحّد الأمة من جديد حول رسالة واحدة وحضارة واحدة . . رسالة الإسلام . . وحضارة الإيمان والإسـلام . ونحن إذا وضعنا نصب أعيننا هدفنا واضحاً . . التحرر من السيطرة الاسرائيلية ـ الأمريكية . . وتوحيد الأمة العربية الإسلامية . . ولم نحد قيد أنملة عن الجهاد فى هذا الطريق . . فإن جموع الأمة ونُخبتها ومثقفيهـا ستتحـد بأغلبيتهـا السـاحقـة . . وستزول . . الحروب الأهلية الكلامية . . والعملية بين صفوفنا . . ونعود مرة أخرى . . خير أمة أخرجت

للناس . . الأمة الوسط التى هى شهيدة على كل الأمم . .

وفى هذا المجال فليتنافس المتنافسون . . ويتم الفرز بين الأفراد والشعوب والأنظمة . . أما الذين يخدعون شعوبهم . . ويروجون أن مصلحة هذه الأمة . . ان تقف خلف المتاريس الأمريكية . . وفى خنادق الحلف الاطلنطى . . فهؤلاء يدعوننا إلى الانتحار . . وإلى أن ندمر أنفسنا بأيدينا . . وان نسلم قيادنا لأعدائنا . . ونخون مبادئنا وعقيدتنا . . ويأبى الله هذا ورسوله والمؤمنون . .

ان اعلامنا الرسمى الهابط . . يدعو الى حرب . . تدمر جزءاً كبيراً من الامكانيات العربية الاقتصادية والعسكرية وإلى قتل ١٠٠ ألف مواطن مسلم . . معظمهم عراقيون ومصريون . . اعلامنا الهابط يصفّق لمحاصرة الشعب العراقى . . وتجويعه . . ولتدمير الاقتصاد العراقى . . والجيش العراقى . . ويستحث بوش . . على ان يضرب ضربته . . ولا أدرى ما علاقة هذا بالإسلام ؟.

ولماذا لم نجد كل هذه الحمية تجاه القدس الشريف ؟ انها أصوات مشبوهة تُريد أن تخلق للشعب المصرى أى أعداء إلا اسرائيل وأمريكا . . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * * *

ونحن كمؤمنين بالله عز وجل نثق فى ان للبيت رباً يحميه . . وان هذه الهجمة الشرسة التى لامثيل لها فى تاريخ العالم ستنقلب على مدبّريها ، وأن هذا المكر السيىء سيرتد على أصحابه . .

ان الولايات المتحدة تخوض آخر معاركها . . كدولة عظمى . . ومهما كانت نتيجة الصراع . . فإن أمريكا ستكتسب عداء كل الشعوب العربية . . وهى إن تمكنت من توجيه ضربة مدمرة للعراق . . فهى بلاشك لاتستطيع ان تخضع المسلمين بأسرهم . . بل هى ستدفع ثمن ذلك غالياً . . لقد سيطرت الولايات المتحدة على العالم العربى دائماً لأنها كانت من وراء ستار (اسرائيل وبعض الأنظمة العربية) أما الآن فإن أمريكا

تكشف عن وجهها القبيح مباشرة . . وتعيد إلى الأذهان كل مساوىء الاستعمار التقليدى .

وكما ذبلت الامبراطورية التى كانت لاتغيب عنها الشمس (الامبراطورية البريطانية) . . فإن الامبراطورية الأمريكية لعلها تخوض آخر أكبر معاركها . . كدولة عظمى . . فعندما تحشد كل هذه القوات ولا تحقق هدفها . . وهو إخضاع كل المنطقة لمشيئتها . . فإنها ستكون ـ بإذن الله ـ قد تلقت الضربة القاصمة . . وسيبدأ العد التنازلى فى التسارع . . وسيعود مركز الحضارة إلى مكانه الطبيعى . . إلى الشرق . . الشرق الإسلامى . . والمتديّن . .

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ .

صدق الله العظيـــم

الفهرس